٢٨٧ ورقة

[illegible]

١٩ - ع

حديث

مقتبس السقا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله تعالى له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقا حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله عليه صلوة تنمو وتنمى وعلى اله وسلم تسليما عظمى اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه

المتقين

المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته وآثار قدرته بما ملاء قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجايب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك قد كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا رحمهم الله في ذلك من مقال وابينه بتنزيل وامثال فاعلم اكرمك الله تعالى انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصايص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر

فيها الخطا وتجاهل تظل فيها الاحلام ان لم تعتد بعلم علم ونظر
سديد ومداحض تذل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله
تعالى وتاييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من سؤال
وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصايصه
التي لم يجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو
ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا
ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراتي
عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو العمر النمري حدثنا
ابو محمد بن عبد المومن قال حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان
بن الاشعث قال حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا حماد اخبرنا
علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم
القيمة فبادرت الى نكت سفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك
الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن
والبال بما طوقته من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن
كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله

بالانسان

بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا وليه في محله فليس
ثم سوى حضرت النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ
مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او ليستفيده جبر الله
صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر
دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته
ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله
وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم
الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي الكريم قولا وفعلا وتوجه
الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهار
عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له
المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح
الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في
الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله
تعالى على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات
وفيه ثلثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به
ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في
لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم امره
ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه
والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشر فصول القسم الثالث فيما يستحيل
في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف
اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب
وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت
البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند
التقصي لموعدته والتفصي عند عهدته تشرق صدور العدو اللعين وتشرق
قلب المومن باليقين وتملا انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق
قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية
ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله
الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب
او نقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم

شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته
وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسالة ووصلة
للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي
صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها
ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي
تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي
صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى
لا اله سواه استعين الملك الحق المبين القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى
لقدر هذا النبي قولا وفعلا قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل وفقه
الله وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من
فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه اياه بفضائل
ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه
الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل
نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد
ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح
بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد
اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال

والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات [الشديدة]
البيّنة التي شاهدها مَنْ عاصره وراٰها مَنْ ادركه وعلمها علم يقين مَنْ
جاء بعده حتي انتهي علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلي الله
عليه وعلي اله وصحبه وسلم كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءةً مني عليه قال حدثنا
ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون
قالا حدثنا ابو يَعْلي البغدادي قال حدثنا ابو علي السِّنْجي قال حدثنا
محمد بن احمد بن محبوب اَخْبَرَنا ابو عيسي بن سَوْرَةَ الحافظ قال
حدثنا اسحق بن منصور قال حدثنا عبد الرزاق اخبرنا مَعْمَر
عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم اُتِيَ
بالبراق لَيْلَةَ اُسْرِيَ به ملجما مُسْرَجًا فاستَصْعَبَ عليه فقال له جبريل
اَبِمُحَمَّدٍ صلي الله عليه وسلم تفعل هذا فما ركبك احدٌ اكرمُ علي الله منه
قال فارفضّ عَرَقًا الباب الاول في ثناء الله تعالي عليه واظهار عظيم
قدره لَدَيْه اعلم ان في كتاب الله العزيز آياتٍ كثيرةً مُفْصِحَةً بجميل ذكر
المصطفي صلي الله عليه وسلم وعدِّ محاسنه وتعظيم امره وتَنْوِيه [ترفيع] قدره
اعتمدنا منها علي ما ظهر معناه وَبَانَ فَحْوَاه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل

الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيءَ المدح والثناء وتَعْداد المحاسن كقوله
تعالي لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال السمرقندي وقرا بعضهم
من اَنْفَسِكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي الامام ابو
الفضل وفقه الله تعالي اَعْلَمَ الله تعالي المؤمنين او العرب او اهل مكة او
جميعَ الناس علي اختلاف المفسرين مَن المُوَاجَهُ بهذا المواجهة الخطاب
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون
صِدْقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم
وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
عطف علي كونه وتقديره لانه لم تكن
وَلادةٌ او قرابةٌ وهو عند ابن عباس وغيره معني قوله تعالي الا المودّة
في القربي وكونه من اَشْرَفِهِم وافضلهم واَرْفَعِهِم علي قراءة الفتح وهذه
نهايةُ المدح ثم وَصَفَه بعدُ باوصافٍ حميدةٍ واَثْنَي عليه بمحامدَ كثيرةٍ
من حرصِهِ علي هدايتهم ورُشْدِهم واسلامهم وشدة ما يُعْنِتُهُمْ ويَضُرّ
بهم في دنياهم واُخراهم وعزّته عليهم ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال
بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الآية الاخري
قوله تعالي لقد منّ الله علي المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
الآية وفي الآية الاخري هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية
وقوله تعالي كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الآية فانه اَجَلُّ من حمد

وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلي الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الي نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر ابن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لاينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الي الخلق سفيرا اي دليلا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا صلي الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة علي الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الي كل محبوب الا تري ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد الله

رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافرين بتاخير العذاب قال ابن عباس رضي الله عنه هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلي الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلي الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلي الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد صلي الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها

يعني اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا
الزيت وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى
في القران في غير هذا الموضع نورًا وسراجًا منيرًا وقال الله تعالى قد
جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ وقال الله تعالى انا ارسلناك شاهدًا
ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا الى الله باذنه وسراجًا منيرًا ومن هذا قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة
وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك
الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف
من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما
اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت
معي يعني قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال
الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى هذا تقرير من الله تعالى
جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية

ووعي

ووعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها
وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة
والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته
ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله تعالى ذكره في
الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروي ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال
ان ربي وربك يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان
بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه لا يذكرك احد بالرسالة
الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره
معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا
الله والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة
ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو
علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على
الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن

حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد
الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء
فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى
الله تعالى عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله تعالى على مشية
من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي
للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم
او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف
الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره منه الوقوف
على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال
ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف
المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملئكته يصلون
على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى وملئكته ام لا فاجازه
بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة
وقدروا الاية ان الله يصلي وملئكته يصلون وقد روي عن عمر

رضي الله تعالى عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين وروي انه لما نزلت هذه
الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى
فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما
لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن
البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى
مكي عنهما نحوه وقال هو صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو
بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن
ابي العالية في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك
الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة
التوحيد وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله

لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآيتين أكثر المفسرين على أن الذي
جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق
به وقرئ وصدق به بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل
أبو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا من الأقوال وعن مجاهد
في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما تعلق بها
من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا و
مبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة
وجملة أوصاف من المدحة فجعله شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة
وهي من خصايصه عليه السلام ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته
وداعيا إلى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ
أبو محمد بن عتاب رحمه الله تعالى قال حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد
قال حدثنا أبو الحسن القابسي قال حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا
أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان
حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن
عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم فقال أجل والله إنه لموصوف في التورية ببعض صفاته في القرآن
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت
عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى
يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا
صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وفي بعض
طرقه عن ابن إسحق ولا صخب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة
وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة
وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف
به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته
خير أمة أخرجت للناس وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي أحمد المختار مولده بمكة
ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون لله على كل حال وقال الله تعالى

الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآيتين وقد قال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم قال السمرقندي ذكّرهم الله تعالى منّته انه جعل رسوله
رحيمًا بالمؤمنين رؤفًا لين الجانب ولو كان فظا خشنًا في القول لتفرقوا
من حوله ولكن جعله الله تعالى سمحًا سهلًا طلقًا برًّا لطيفا هكذا قاله
الضحاك وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله
فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله
في الآية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية
وقوله تعالى وسطًا اى عدولا خيارًا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارًا عدولًا لتشهدوا
للانبياء على اممهم وليشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله
اذا سأل الانبياء هل بلّغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من
بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم
السلام ويزكيهم النبي عليهم السلام وقيل معنى الآية انكم حجة على كل من
خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال الله تعالى وبشر
الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن

وزيد

١٠

وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم
وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله
تعالى عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند
ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها
في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة
والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي
قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن
عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم
ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه
من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه
اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه
ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه

من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي ابو الفضل
وفقه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه
ان يتأدب بادب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر
المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه
الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني
عن الجميع وليستثير (او وليستنبط) ما فيها من الفوائد وكيف ابتدا بالاكرام قبل
العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب
الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل
وقوعه ليكون ذلك اشد انتهاء لبعد الزلات ومحافظة لشرائط المحبة
وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما
عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه
تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا
يكذبونك الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن

فجاءه

فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق
فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية منزع (او ماخذ ومشرع) لطيف المأخذ من تسليته تعالى
له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم
غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة
الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة (او علامة) الكذب ثم جعل الذم لهم
بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال الله تعالى ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون فحاشاه من الوصم (من كل عيب) وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة
الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن
قبله ووعده النصر بقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرا
يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون
انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد
فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه
وبر الله به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال تعالى يا ادم
يا نوح يا ابرهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطبه هو الا يا ايها
الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر **الفصل الرابع** في قسمه
تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون

اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله
عليه وسلم واصله بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال و
معناه وبقائك يا محمد وتعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله تعالى وما ذرا وما
برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى
اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزا ما اقسم الله تعالى بحياة احد
غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس
والقران الحكيم الايات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكي
ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي
عز وجل عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم
وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد
وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب
يس قسم اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام
يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين
فان قرر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه

من التعظيم ما تقدم ويوكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان
بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
اقسم الله تعالى باسمه وكتابه الكريم انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده
وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن
الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه
الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد
قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد
خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد
حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا
وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده
يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير
قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها
فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو
عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي اشارة ان شاء الله الى محمد
صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى

الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم
الله تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد
الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبرائيل عليه السلام والميم
محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى
سهل وجعل معناه انه انزل جبرائيل على محمد بهذا القران لاريب فيه
وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه
من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله
تعالى قٓ والقران المجيد اقسم الله تعالى بقوة قلب حبيبه صلى الله
عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله تعالى وقيل اسم جبل محيط بالارض
وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه
محمد صلى الله عليه وسلم وقال والنجم قلب محمد عليه السلام هوى
انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله
تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر
الايمان الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته
عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب
نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل

لعذر

لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون
عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل
تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له عليه السلام وتنويهه
به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله
بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات
المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى ما ودعك
ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك
الثالث قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي
في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل
بن عبد الله اي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما
اعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه
اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في
الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب
في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض ال النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ليس اية في القران ارجى منها ولا يرضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس
ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من الاية قبله في بقية السورة

من هدايته الي ماهداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولامال
له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب
عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه
وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما
ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقيل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به
بنشره واشادة ذكره بقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث فان من
شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم
اذا هوى الى قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف
المفسرون في قوله تعالى والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره
ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم
وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى والسماء
والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا
ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه
الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل
جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا

وانه

وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم
اخبر الله تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة
المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه من ايات ربه الكبرى وقد
نبه على مثل هذا في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه صلى الله
عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط
به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع
من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم
ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت
الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى
قال القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية
جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الافات في هذا المسرى فزكى
فؤاده ولسانه وجوارحه وزكى قلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما
راى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى وقال الله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله تعالى
وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم
عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن

المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثَمَّ اي في السماء امين على
الوحي **قال** علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله
عليه وسلم لجميع الاوصاف بعد على هذا له صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم قيل راى ربه وقيل راى جبريل في صورته
وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو
ببخيل بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله
عليه وسلم بالاتفاق وقال الله تعالى ن والقلم الايات اقسم تعالى
بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة (اي عيبا)
به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله تعالى محسنا خطابه
ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة (اي احسان) في المخاطبة واعلى
درجات الاداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم
وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال تعالى وان
لك لاجرا غير ممنون ثم اثنا عليه بما منحه (اي اعطاه) من هباته وهداه اليه
واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال الله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس
لك همة الا الله **قال** الواسطي اثنا عليه بحسن قبوله لما اسداه (اي اعطاه)

اليه

(اي خلقه)
اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق الحسن
فسبحان الله اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير
وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر (اي اكثر) نواله
واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم
وتوعدهم بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف
بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك
بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من الذم فيه بقوله
تعالى فلا تطع المكذبين الى قوله تعالى اساطير الاولين ثم ختم ذلك
بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تعالى سنسمه
على الخرطوم فكانت نصرة الله تعالى له اتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده

الفصل الثاني

في ما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة
والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه
اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه
يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان **قال** الواسطي
اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والها كناية عن الارض
اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم

واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية
فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل
اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي
ابو الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت حدثنا ابو ذر الحافظ حدثنا
ابو محمد الحموي حدثنا ابرهيم بن خزيم الشاشي حدثنا عبد بن حميد
حدثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى
طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفا
بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه
صلى الله عليه وسلم كما قيل او جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا
ومثله قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال
الله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله
تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله
تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكي سلاه الله تعالى

بما ذكر

بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل
به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم
من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبر به عن
الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان
عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في
اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله
تعالى في اي كثيرة من هذا المعنى الفصل التاسع فيما اخبره الله تعالى
به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة
رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكر في هذه الاية
قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا
صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل
ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم

الخطابُ لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لم يَبْعَث الله نبيًّا من آدم فَمَن بَعْدَهُ الا اخذ عليه
العهدَ في محمدٍ صلى الله عليه وسلم لئن بُعِثَ وهو حيٌّ ليؤمننّ به ولينصرنّه
ويأخذ العهدَ بذلك على قومه ونحوه عن السُّدِّي وقتادة في آيٍ تَضَمَّنَتْ
فضله من غير وجهٍ واحدٍ قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الآية وقال الله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح الى قوله تعالى وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال في كلام بكى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك الله آخر الانبياء وذكرك
في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار
يَوَدُّونَ ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يُعَذَّبون يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قوم نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم فالمعنى اخذ الله عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال الله تعالى تلك الرسل فضلنا

بعضهم

بعضهم على بعض الآية قال اهل التفسير اراد بقوله تعالى ورفع بعضهم
درجات محمدًا صلى الله عليه وسلم لانه بُعث الى الاحمر والاسود واُحِلَّت
له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احدٌ من الانبياء اُعطي
فضيلةً او كرامةً الا وقد اُعطي محمدٌ صلى الله عليه وسلم مثلها وقال
بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى
السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم ان الهاء
عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي من شيعة محمد لابرهيم اي على
دينه ومنهاجه واختاره الفرّاء وحكى عنه مكي وقيل المراد به نوح
عليه السلام **الفصل الثامن** في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه
وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله تعالى ولولا رجال
مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا
من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل
مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة

منهم عذبهم الله تعالى بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم
فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي هذه الاية ايضا تاويل
آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه
ثنا ابي الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى
بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي
ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسمعيل
بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى علي
امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال صلى الله عليه وسلم انا امان
لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول
صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية
فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل
نبيه صلى الله عليه وسلم بصلواته عليه ثم بصلوة ملائكته يصلون
على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلوته

عليه ثم بصلوة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه وقد
حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله صلى الله عليه وسلم و
جعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي في صلوة الله تعالى علي وملائكته
وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلوة من الملائكة ومنا له دعاء
من الله عز وجل رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله
عليه وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر
حكم الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان
الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له وقال تعالى ويهديك
صراطا مستقيما والياء تاييده له قال وايدك بنصره والعين عصمته له
قال تعالى والله يعصمك من الناس والصاد صلوته عليه قال ان الله
وملئكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو
موليه الاية اي وليه وجبريل وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل
الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل عثمان وعلي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله تعالى يد الله فوق
ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته

عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الواصف عن الانتهاء اليه فابتدأ
جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على
عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما
يكون قال بعضهم اراد غفرانك ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال
مكي جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله الا هو منة بعد
منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر
عليك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح
اهم البلاد عليه واجلها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ
الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة
والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم
العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة
ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال الله تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته
على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا
لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من
الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه

اي

اي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه اي يعظمونه
وقرا بعضهم تعززوه بزائين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى
الله عليه وسلم ثم قال تعالى وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء
جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين
وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي
من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئته
عن العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة
الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله
حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به الى المحل الاعلى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر
واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا ومشفعا وسيد ولد ادم وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون
الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة وقيل قوة الله
وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام
وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد
يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت

ولكن الله رمى وان كان الاول فى باب المجاز وهذا فى باب الحقيقة
لان القاتل والرامى بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته
عليه ومسببه ولانه ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث
وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك [قتل] الملائكة لهم حقيقة
وقد قيل فى هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربى ومقابلة اللفظ
ومناسبته اى ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم
بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع [ونصيب] اى ان منفعة الرمى كانت
من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى وانت بالاسم **الفصل العاشر**
فيما اظهره الله تعالى فى كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده
وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك مما نصه
تعالى من قصة الاسراء فى سورة سبحان والنجم وما انطوت [مشتمل او دال] عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله
وما دفع الله به عنه فى هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا فى امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه فى الغار وما ظهر لهم فى ذلك من الايات ونزول السكينة عليه

وقصة

وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير فى قصة [الغار]
وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ان شانئك هو الابتر اعلمه الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل
نهر فى الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة
وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب [تعالى] عنه عدوه ورد عليه قوله فقال
تعالى ان شانئك هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر هو الحقير
الذليل او المفرد الوحيد او الذى لا خير فيه وقال الله تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم قيل السبع المثانى السور
الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثانى ام القران
والقران العظيم سايره وقيل السبع المثانى ما فى القران من امر ونهى
وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبا القران العظيم
وقيل سميت ام القران مثانى لانها تثنى فى كل ركعة وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله عليه وسلم وادخرها له دون الانبياء وسمى القران مثانى
لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثانى اكرمناك بسبع كرامات
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال الله تعالى وما ارسلناك
الا كافة [للناس] بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم

جميعا الآية قال فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فخصصهم بقومهم وبعث محمدًا صلى الله
عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود
وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم **قال**
اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو
ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس
وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم
بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الآخرة وقد قرئ
وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف وقال الله تعالى
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال
الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم **الباب الثاني** في تكميل
الله تعالى له المحاسن خلقًا وخُلقًا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا **اعلم** ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن
تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان
ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني
وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص

لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل واما الضروري المحض فما ليس للمرء
فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله
وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخر بالاخروية اذا قصد بها التقوى
ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين
الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب
الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد
والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت
والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي
جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل
الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون
فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى
وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة
ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا
في موجب حسنها وتفضيلها **فصل** اذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرنا

ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له
في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة
حتى يعظم قدره او يضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك
في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك
بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا
يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة
النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والروية
والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود
والصلوة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد
ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش و
الطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى
والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقران
العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملائكة والحكم
بين الناس بما اراه الله تعالى ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم

اشارة الى قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم

باسمه

هو الحيوان ما لا يقدر على الكلام

باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع
الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد
الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام
وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل
ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له
في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسنى والزيادة التي يقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم

فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله
عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد
ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها
من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف
في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي
غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت
الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن
مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي

هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض
بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخزيم بن فاتك وحكيم
بن حزام وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من انه صلى الله
عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار
ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية
تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب
الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة
ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك
فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم
رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب
الغمام اذا تكلم رأي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم
ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رايت من ذي لمة
في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة
ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان
الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدور وقال جابر بن
سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا

بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته
به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي
هالة يتلألأ نور وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه
في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه
يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث
في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في
وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب
وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء
الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته
عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال
بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاص وغير واحد قالوا
ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي
ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن
ثابت عن انس رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا
ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر
بن سمرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت

لبدنه بردًا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب
او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على
راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو
من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله
عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا
طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر اردفني النبي صلى الله
عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض
المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط
انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة
صلى الله عليه وسلم اسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن
عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
انك تاتي الخلاء ولا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة وما
علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر
وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو
نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر
بن سابق المالكي في كتاب البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم
منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا ان صلى الله
عليه وسلم لم يكن شيء منه يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله
تعالى عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من
الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح
طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل
النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم
احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار
ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من
هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا
ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة
التي شربت بوله صحيح الزم دارقطني مسلما والبخاري اخراجه في
الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن
وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله

عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال
فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت
وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم وروي ابن جريج وغيره وكان
صلي الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة
وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن
عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما رايت فرج رسول الله صلي الله
عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلي الله عليه
وسلم لا يغسله غيري فانه لا يري احد عورتي الا طمست عيناه وفي
حديث عكرمة عن ابن عباس انه صلي الله عليه وسلم نام حتي سمع له
غطيط فقام فصلي ولم يتوضا قال عكرمة لانه صلي الله عليه وسلم كان
محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل
الناس وازكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم
وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بداية وهذا
ما لا يحتاج الي تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات في احد

وسبعين

وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلي الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخري فوجدت في جميعها ان الله
تعالي لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الي انقضائها من العقل في
جنب عقله صلي الله عليه وسلم الا كحبة رمل بين رمال الدنيا وقال
مجاهد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة يري من خلفه كما يري
من بين يديه وبه فسر قوله تعالي وتقلبك في الساجدين وفي الموطا
عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين
وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله اياه في حجته
وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الي من بين يدي
وفي اخري اني لابصر من قفائي كما ابصر من بين يدي وحكي بقي بن
مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلي الله عليه وسلم يري في
الظلمة كما يري في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلي الله
عليه وسلم الملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتي صلي عليه وبيت
المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بني مسجده وقد حكي عنه
انه كان يري في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة علي رؤية العين
وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الي ردها الي العلم
والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم

كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه ثنا ابو الحسن
المقرئ الفرغاني ثنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو
الحسن علي بن محمد الحسني ثنا محمد بن سعيد ثنا محمد بن احمد بن
سليمان ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله
عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من
ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل
وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ايضا ابا ركانة في الجاهلية
وكان شديدا وعاوده ثلث مرات بعد ذلك يصرعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا
وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا
واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل
والموضع الذي لا يجهل مع سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع

وفصاحة

وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم
وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها
بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من
اصحابه يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل
حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار
واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي
وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي
وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان
ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها
لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحواري وعليهم فيها
الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها
وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك لهم في المال والولد من
اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان
لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك
لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب
لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب

والفلوّ الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا
الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه
الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي
السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن
زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض
الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه
لانس في الصدقة المشهورة لما كانت كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم
هذا النمط واكثر استعمال هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس
ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلغاتنا وقوله في حديث العامري حين سأله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر
واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد
الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها
ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم
ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان

المشط

المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما يرى له والناس
معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم
يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم
يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا ح
الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه
ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه
عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن وقوله خير الامور اوساطها وقوله احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات
يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع
بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها
عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على
الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته
وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك
مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت

من كلمات التي لم يُسبَق اليها ولا يقدر احد ان يفرغ في قالبه عليها
كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المومن من جحر مرتين
والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها
ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو
افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة اخري بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع له بذلك
صلي الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ
الحاضرة ورونق كلامها الي التاييد الالهي الذي مدده الوحي الذي
لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل
لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير (اي عالي) الصوت حسن
النغمة صلي الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه
فما لا يحتاج الي اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه
نخبة (اي اخيارهم) بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا (اي جماعة)
من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله علي الله وعلي عباده
حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله ثنا القاضي
ابو الوليد سليمان بن خلف ثنا ابو ذر عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل

ثنا

ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتي كنت من القرن الذي
كنت منه وعن العباس قال النبي عليه السلام ان الله خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم
تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا (اي ذاتا) وخيرهم بيتا
وعن واثلة بن الاسقع قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله اصطفي
من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفي من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفي من بني
كنانة قريشا واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال
الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما
رواه الطبري انه عليه السلام قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم
بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار
منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار بني هاشم منهم ثم اختار بني
هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله
عنه ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالي قبل ان يخلق ادم بالفي
عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القي

ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني
الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب
ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد
لصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي عليه السلام **فصل** واما ما
تدعوا ضرورة الحياة اليه مما فضلناه في كثرته وضرب يختلف الاحوال
فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا اي عقلا ونقلا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس
وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل
على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة
العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد
على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام
الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها و
صحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد
عليه

استهارع

عليه اختصارا واقتصارا على العلم به وكان النبي عليه السلام قد اخذ
من هذين الفنين اي من الاكل والنوم بالاقل هذا ما لا يدفع اي لا يمنع من سيرته وهو الذي امر
به وحض اي قدم وحث عليه لاسيما بارتباط احدهما بالآخر **حدثنا** ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه **ثنا** ابو الفضل الاصبهاني **ثنا** ابو نعيم الحافظ
ثنا سليمان بن احمد **ثنا** بكر بن سهل **ثنا** عبد الله بن صالح **حدثني**
معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي
كرب ان رسول الله عليه السلام قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من
بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة
الشرب والاكل **قال** سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل
وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا **وقد** روي عنه عليه
السلام انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي
وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط وانه عليه السلام كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل و
ما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا الحديث بريرة وقوله
الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه عليه السلام اعتقادهم
انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه

البرمة وهي القدر من الحجارة

انهم لا يستأثرون عليه به فتحذق عليهم ظنة وبقى لهم ما جهلوه
من امره بقوله هو لها صادقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله
عليه السلام اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد
في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها
الجالس على تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه
والنبي عليه السلام انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا
ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس
معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه عليه السلام
كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني
تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم
لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء
الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال
فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة
ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته
والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة

فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة
معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة
وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه
وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن
التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله
عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد
حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد
كان زهاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم كثيري الزوجات والسراري
كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا ع م قد اثنى الله تعالى عليه
انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا
عيسى بن مريم عليه السلام تبتل من النساء فلو كان كما قررته لنكح فاعلم ان
ثناء الله تعالى على يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا
او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب

اي لا ياتيها كانه حصور عنها وقيل مانعا نفسه عن الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة علي
النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسي
عليه السلام او بكفاية من الله تعالي كيحيي عليه السلام فضيلة زائدة
لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطّة الي الدنيا ثم من كان يحقق من اقدر
عليها وملكها وقام بالواجب ولم يشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة
نبينا صلي الله تعالي عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه
بل زاد ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن
وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان
كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان حبه
لما ذكر من النساء والطيب الذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزوج وللقاء الملائكة في الطيب
ولانه ايضا مما يحض علي الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان
حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي
المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز
بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد
ساوي يحيي بن زكريا وعيسي في كفاية فتنتهن وزاد فضله بالقيام بهن

وكان

وكان صلي الله تعالي عليه وسلم ممن اقدر علي القوة في هذا واعطي الكثير منه
ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه
صلي الله عليه وسلم كان يدور علي نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن
احدي عشرة قال انس كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلثين رجلا خرجه النسائي
وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي النبي صلي الله عليه وسلم قوة
اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمي مولاته
طاف النبي صلي الله عليه وسلم ليلة علي نسائه التسع وتطهر من كل واحدة
قبل ان ياتي الاخري وقال هذا اطهر واطيب اي وقد قال سليمان عليه
الصلوة والسلام لاطوفن الليلة علي مائة امراة او تسع وتسعين وانه
فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل
وكان له ثلث مائة امراة وثلث مائة سرية وحكي النقاش سبع مائة امراة
وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام علي زهده واكله من عمل يده تسع
وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه علي ذلك في الكتاب
الله تعالي العزيز بقوله تعالي ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي
حديث انس عنه صلي الله عليه وسلم فضلت علي الناس باربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالي في صفة عيسي عليه السلام وجيها

في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم
العلو في الارض وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة
في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجهوه اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كانت يبهت ويفرق
من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة
عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد
فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشرف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو
مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا
هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في
التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على
الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن
اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في
مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة

في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد
بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان
منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة
البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه
وانما للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
مواضعه ووجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح
عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يتسلط عليه فاشبه خازن مال
غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله
فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح
البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله
عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق
وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا
بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال

اي امسك

ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لدين
واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم
ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت ومات ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه وكان عليه السلام يلبس ما وجده ويلبس في الغالب
الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهات بالملابس والتزين بها
ليست من خصال الشرف والجلالة وانما هي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه
مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه
في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال
وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الالات وخدمه ومركوباته
ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز
لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه ان كانت فضيلة زائدة عليها
في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب
الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق

الواحد

الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة
الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة
بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها
دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه
وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله عليه بذلك
فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه يعني التادب بادابه والتخلق بمحاسنه
والالتزام لاوامره وزواجره وقال عليه الصلوة والسلام بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم يحصل له باكتساب ولا رياضة
الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى
وسليمان وغيرهم عليهم الصلوة والسلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة
واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال
المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين
او ثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى

مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلث سنين فشهد انه
كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم
اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على قراءة من قرا من تحتها وعلى
قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال عيسى اني عبد
الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا اتينا
حكما وعلما **وقد** ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب مع الصبيان في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه **وحكى** الطبري ان عمره كان
حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه
بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده
من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره **وقال** ابن عطاء اصطفاه
قبل ابداء خلقته وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله تعالى اليه ملكا
يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم
يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام في النار ومحنته
كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق عليه السلام بالذبح كان
وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب والقمر والشمس كان
وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله تعالى الى يوسف وهو صبي

عند

عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون الى غير ذلك من اخبارهم **وقد حكى** اهل السير
ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين
ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله
عليه وسلم لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم
بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله تعالى منهما ثم لم اعد
ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في
قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل
هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ورياضة قال الله تعالى
ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم ممن يطبع
على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب
تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على
حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على
ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها
ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر
لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذه الخلق جبلة او مكتسبة
فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد

وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما أصّلناه
وقد روى سعد عن النبي عليه السلام قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا
الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجرأة والجبن غرائز
يضعها الله حيث يشاء، وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الشريفة الجميلة كثيرة
ولكنا نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه تعالى عليه وسلم بها
إن شاء الله تعالى فصل أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة
دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب
الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
وتجنب الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن
العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع
منه متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع
كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التورية
والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب
الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة
والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها
قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب

وغير

وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا
مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم
يعرف (ولم يشتهر) بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم
ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته
نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه
حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم
إلى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته
وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف
يحيط بذلك أو ينتهي إليه فصل وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة و
الصبر على ما يكره وبين هذه الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات
عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها
الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما أدب
الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الآية
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية سأل جبرائيل عن
تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله
يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال

واصبر على ما اصابك الآية وقال الله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية وقال تعالى ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان
كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله تعالى عليه
وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد علي التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب
ثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا
يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت
ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين قط الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول
الله عليه السلام لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها وروي
ان النبي عليه السلام لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك
على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا
رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك

وادمى

وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما
في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس
وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر عليه السلام على السكوت عنهم حتى عفا
ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر
سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم
لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه
الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها
بما قال له ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به
ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون
في غزاة فلم ينتبه رسول الله عليه السلام الا وهو قائم والسيف صلتا في يده
فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى
الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه
فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو
عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من
الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به

واوحي اليه بشرح امره ولاعتب عليه فضلاً من معاقبته ولم يؤاخذ
عبدالله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم مانقل عنهم في جهته
قولاً وفعلاً بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل
اصحابه وعن انس كنت مع النبي عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية
فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في
صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فانك لاتحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي
عليه السلام ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا
اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لاتكافي بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امران يحمل له على بعير شعير
وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم
الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما
ضرب خادما ولا امراة وجيء اليه برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال
له النبي عليه السلام لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي و
جاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن
منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل

فانتهره

فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك يا عمر تامرني
بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلث وامر
عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه
وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد
الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما
فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره
وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في
الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على
مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم
الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لايشكون في استيصال
شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا
من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا
فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم الآية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه

الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثّل بهم فعفى عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا
سفيان الم يأن لك ان تعلم أنْ لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك
واوصلك واكرمك وكان رسول الله عليه السلام ابعد الناس غضبا
واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة
ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق
بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة
والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد
التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى
بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله
ثنا القاضي ابو الوليد الباجي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم الكشميهني
وابو محمد السرخسي وابو اسحاق البلخي ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا
البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن
عبد الله يقول ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا عن شيء فقال لا
وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه
وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه
جبرائيل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا

سأله

سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي
عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان
مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وقد قال ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون
الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء
قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي
العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا
امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ ابن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء
كفه حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير وعن ابي هريرة اتى رجل
النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه
نائل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها

للمقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها
دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر
المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل
لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال ثنا القاضي سراج ثنا ابو محمد
الاصيلي ثنا ابو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا
ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء وساله رجل
افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ
بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد
المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله
عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو
الكفار وانا اخذ الكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى
يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا
اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه

انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم
بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد
الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه
وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى
الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل
المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله عليه السلام
راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف
في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم
احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه
وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة
اقتلك عليها فقال له النبي عليه السلام انا اقتلك ان شاء الله تعالى فلما
راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه
رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه
وتناول الحربة من يد الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه
تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم

فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارًا وقيل بل كسر ضلعًا من اضلاعه
فرجع الى قريش وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان
ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني
فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة
تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرًا من
فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله
عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه
وتعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية **وحدثنا** ابو محمد
بن عتاب رحمه الله عليه بقراتي عليه **ثنا** ابو القاسم حاتم بن محمد
ثنا ابو الحسن القابسي **ثنا** ابو زيد المروزي **ثنا** محمد بن يوسف **ثنا**
محمد بن اسماعيل **ثنا** عبدان **ثنا** عبد الله **اخبرنا** شعبة عن قتادة
سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره
شيئًا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق
الظاهر لا يشافه احدًا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي
الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون

كذا

كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس رضي الله عنه انه دخل عليه رجل
به اثر صفرة فلم يقل له شيئًا وكان لا يواجه احدًا بما يكره فلما خرج قال
لو قلتم له يغسل هذا ويروي ينزعها قالت عائشة رضي الله عنها في
الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخابًا في
الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا
الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه وروي عنه عليه السلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره
في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة
رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله عليه السلام قط **فصل** واما
حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق
فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه صلى
الله عليه وسلم كان اجود الناس صدرًا (اوسع بالناس) واصدق الناس لهجة والينهم عريكة
واكرمهم عشرة **حدثنا** ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه
وقراته على غيره قال **ثنا** ابو اسحاق الحبال **ثنا** ابو محمد بن النحاس **ثنا**
ابن الاعرابي **ثنا** ابو داود **ثنا** هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى **ثنا**
الوليد بن مسلم **ثنا** الاوزاعي قال سمعت يحيى ابن ابي كثير يقول **ثنا**
محمد بن عبد الرحمن ابن اسعد ابن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله عنه

قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد
الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما
ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى
بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم
ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم
بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس
بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن
ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا
غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا
يؤيس منه وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة الآية وكان يجيب من
دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله عنه
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط

وما قال

وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي
الله عنها قالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح
اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة
العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر
قال انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي راسه
حتى يكون الرجل الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها
الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام
ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما
على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته
ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم
اليهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي
او قيام وروي بانتهاء او قيام ويروى انه كان لا يجلس اليه احد وهو
يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب
قال عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله عليه السلام

وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة ياتون النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء فما يوتى بانية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرافة والرحمة بجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله اصطفاه واعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمومنين روف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا امام الحرمين ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم ابن الحجاج ثنا ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب حدثنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل

اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغداء او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه ابو هريرة فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه عليه السلام قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا واني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان يفرض عليهم كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته

ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل
سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره
بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرني بما شئت ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله
من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وروي ابن المنكدر ان
جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله امر السماء والارض
والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي العذاب لعل الله ان يتوب عليهم قالت
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين
الا اختار ايسرهما قال ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا
بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عائشة رضي الله عنها ركبت
بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن
العهد وصلة الرحم **حدثنا** القاضي ابو عامر محمد بن اسماعيل بقراتي عليه
حدثنا ابو بكر محمد بن محمد **حدثنا** ابو اسحق الحبال **حدثنا** ابو محمد بن
النحاس **حدثنا** ابن الاعرابي **حدثنا** ابو داود **حدثنا** محمد بن يحيي **حدثنا**

محمد

محمد بن سنان **حدثنا** ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد
الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت النبي صلى
الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها
في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتي
لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وعن انس كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الي بيت فلانة فانها كانت
صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة رضي الله عنها وعن عائشة
رضي الله عنها قالت ما غرت على امراة ما غرت علي خديجة لما كنت اسمعه
يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الي خلائلها واستاذنت عليه
اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها
فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان
ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من
هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء
غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه الصلوة والسلام بامامة
ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن
ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه
فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب

ان اكافيهم ولمناجي باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن وتعرفت
له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك
ورجعت الي قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط
لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن
عمرو بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما
فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من
الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان
يبعث الي ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من
من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها
انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك
لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق
فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون
نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند
ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم

القمة

القيمة واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد العواد
الفقيه رحمه الله بقراءتي في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال ثنا
ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود
ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي
العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامه
قال خرج علينا رسول الله عليه السلام متوكئا على عصى فقمنا له فقال
لا تقوموا كما تقوم الاعاجم تعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد اكل كما ياكل
العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه
مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه
لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن انس ان امراة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة
قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي
حاجتك قال فجلست فجلس النبي عليه السلام اليها حتى فرغت من
حاجتها قال انس كان رسول الله عليه السلام يركب الحمار ويجيب دعوة
العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف
قال وكان يدعى الي خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب

قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة
ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا
وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجته ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه
مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته
تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على اخي يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبيا ولا تخيروني على موسى
ونحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت
الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم وسياق الكلام
على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن
وعن ابي سعيد وغيرهم في صفته صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد
على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع
ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه
وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان
كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله عليه السلام
فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته
من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة
من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة
قال فوثب الى يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا
تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت
لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله **فصل** واما عدله صلى الله
عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس
واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك
محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين
بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين
على انه محمد عليه السلام ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن
يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك
قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين فقد رضينا به وعن الربيع بن خثيم
كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء وامين في الارض حدثنا ابو
علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى
بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى
الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي
اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم

انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله عليهم فانهم لا يكذبونك
الاية وروي غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن
شريق لقي ابي جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك
يسمع كلامنا فخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله
ان محمداً الصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفيان فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا قال النضر بن الحارث
لقريش قد كان فيكم محمد غلاماً حدثاً ارضاكم فيكم واصدقكم حديثاً
واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به
قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد
امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام اصدق
الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه قال ابو
العباس المبرد قسم كسرى اياما فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد
ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم
بسياسة دنياهم يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم
غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء جزءاً لله

وجزءاً لاهله وجزءاً لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين
بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من
ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احداً
على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه عليه السلام
ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول
الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته
قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفاً
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما
ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئاً ثم عراني مرة اخرى مثل
ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه
وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني
الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال ثنا ابو العباس الدلائي ثنا
ابو ذر الهروي ثنا ابو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا
عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد
عن عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول

كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من
اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه
وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو
في حديث قيلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير
حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول
ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس
حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا
تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته عليه السلام يخطو
تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا
يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي عجز ولا كسلان وقال عبد الله
بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر
بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال
ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث
حديثا لو عده العاد احصاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب

اليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروءته
صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي
والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة صلى
الله عليه وسلم فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء
هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها
وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه
وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق
آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاص والحسين بن محمد الحافظ و
القاضي ابو عبد الله التميمي قالوا ثنا احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي
قال ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفين ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا
ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معوية عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود
عن عائشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام
تباعا من خبز حتى مضى سبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير
يومين متتابعين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية
اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله
وقالت عائشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما
ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه

و بغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء
ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء
مكة ذهبا فقلت لا يارب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع
فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني
عليك وفي حديث آخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله يقرئك
السلام ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا ويكون معك
حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبرائيل ان الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبرائيل ثبتك الله
يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما
نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة
وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو
واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس ما اكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى
شاة سميطا قط وعن عائشة انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما
حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي
مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال

ما فرشتموه

ما فرشتموه الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فانه وطاته منعتني الليلة
صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في جنبه وعن عائشة
قالت لم يمتلئ جوف النبي شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب
اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام
يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
ابكي له رحمة مما ارى به واسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي
لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا
اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على
حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان
ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من
اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر
علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال
ثنا ابو القاسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي
ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث
عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا

ولبكيتم كثيرا زاد في روايته عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أطّت السماء وحُقّ لها ان تأطّ ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون
الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد
من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل
له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون
عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة كان عمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا
يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت كنت لا تشاء ان تراه
من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن
مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم
قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال
ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله
ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك وعن حذيفة

ثم قرا آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك ع
مثله

مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا
البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم باية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة
كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة و
قال عليه السلام اني لاستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة وروي في اليوم سبعين
مرة وعن علي سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي
والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي
والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي
في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا الله واياك
ان صفات جميع الانبيا والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن
الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة
لانها من صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله
عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله
بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال

ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول زمرة
يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل
واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي
حديث ابي هريرة رايت موسى فاذا رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال
شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج
من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف وانا اشبه ولد آدم بابراهيم وقال
في حديث في صفة موسى كاحسن ما انت راء من أدم الرجال وفي حديث
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا
في ذروة من قومه ويروى ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة
ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها
وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى
يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم ابعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى
الى الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران
على العالمين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة
منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى ما دمت حيا

وقال

وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الآية قال النبي عليه السلام
كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم اني
لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر
كما صبر اولو العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى
قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء
والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام حليم وعليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم
فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من
الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى انه
كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابرهيم
واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود انه
اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا
وعن شعيب قال ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال ما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا
يسارعون في الخيرات الآية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة
ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك

في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن كريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي
وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي
ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الي السما، تخشعاً
وتواضعاً لله وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحي
اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو
على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف
مالك تجوع وانت علي خزاين الارض قال اخاف ان اشبع وانسي الجايع و
روي ابو هريرة عنه عليه السلام خفف علي داود القران فكان يامر
بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال
الله تعالي والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان
سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه السلام
احب الصلوة الي الله صلاة داود واحب الصيام الي الله صيام داود
كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما
وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم يُرَ ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره
الي السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكي حتي نبت

العشب

العشب من دموعه وحتي اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كانت
بعد يمينه
يخرج متنكرا فيسمع الثنا، عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام
لو اتخذت حمارا قال انا اكرم علي الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر و
ياكل الشجر ولم يكن له بيت اين ما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال
له مسكين وقيل ان موسي عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت تري خضرة
البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلي احدهم
بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسي عليه السلام لخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعوّد لساني المنطق بسوء وقال
مجاهد كان طعام يحيي عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله حتي اتخذ
الدمع مجرا في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكي الطبري عن وهب
ان موسي كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان
يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا
كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل
معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الي ما تجده في كتب بعض جهلة
المورخين والمفسرين مما يخالف هذا فصل قد اتينا اكرمك الله من ذكر
الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها
له صلي الله عليه وسلم وجلينا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال

بلغ

هذا الباب في حقه عليه السلام ممتدة دون نفاذه الآبد الآباد وبحر علم خصايصه زاخرة
لا تكدره الدلاء لكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر
حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه
جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله
حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراتي عليه سنة
ثمان وخمسمائة قال ثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرات
عليه اخبركم الاديب الفقيه ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ
الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن
بن علي بن جعفر الوخشي قالوا اخبرنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن
الحسن الخزاعي قال اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو
عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع
بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم
من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي
هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سالت خالي هند بن
ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن
الحسين بن احمد بن خذاذاذ الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل

ابو

ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد
بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة
عليه فاقر به قال ثنا ابو محمد بن الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن
بن عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر
العلوي قال ثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي
بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه
محمد بن علي عن علي بن الحسين قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند
سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر
ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل
الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا لا يجاوز شعره شحمة اذنيه
اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير
قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من
لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج
الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة

مُعْتَدِلُ الخلق بادِنًا مُتَمَاسِكًا سواء البطن والصدر مُشِيحُ الصدر بعيد
ما بين المنكبين ضَخْمُ الكراديس أَنْوَرُ المُتَجَرَّد مَوْصُولُ ما بين اللبة والسُّرَّة
بشَعَرٍ يَجْرِي كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمَنْكِبَيْن واعالي الصدر طويل الزَّنْدَيْن رَحْبُ الراحة شَثْنُ
الكَفَّيْن والقَدَمَيْن سائِلُ الاطراف او قال شَائِنُ الاطراف شَبْط
العصب خُمْصَانُ الأَخْمَصَيْن مسيح القَدَمَيْن يَنْبُو عنهما الماء اذا
زال زال تَقَلُّعًا ويَخْطُو تَكَفُّؤًا ويمشي هَوْنًا ذريع المشية اذا مشى
كانما يَنْحَطُّ من صَبَبٍ واذا التفت التفت جميعا خافِضُ الطرف نظره
الى الارض اطول من نظره الى السماء جُلُّ نظره الملاحظة يَسُوقُ اصحابَهُ
ويَبْدَأُ من لقيه بالسلام قُلْتُ صِفْ لي مَنْطِقَهُ قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير
حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا
لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يُعَظِّمُ النعمة
وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا
تعرض للحق بشيء حتى يَنْتَصِرَ له ولا يغضب لنفسه ولا يَنْتَصِرُ لها اذا اشار اشار
بكفه كلها واذا تعجب قَلَبَهَا واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى
راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غَضَّ طرفه جُلُّ ضحكه

التبسم

التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانًا
ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت
ابي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا
له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جَزَّأَ دخوله ثلثة اجزاء جُزْءًا لله تعالى
وجُزْءًا لاهله وجُزْءًا لِنَفْسِهِ ثم جَزَّأَ جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك
على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الامة
ايثار اهل الفضل باذنه فيقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم
والامة من مَسْئَلَتِهِ عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول لِيُبَلِّغ الشاهدُ
منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا
حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يُذْكَرُ عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره يدخلون قال في حديث سفيان بن وكيع يَدْخُلُون
رُوَّادًا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني
عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن
لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه

ويصوبه ويقبح القبيح

ويتفقد اصحابه ويسئل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويوهيه معتدل
الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يميلوا لكل حال عنده عتاد
لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم
عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة
فسئلته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يجلس ولا يقوم الا ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا
انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة
حتى يكون هو المنصرف عنه من سئاله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده في
الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعا
فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا
الحاجة ويرحمون الغريب فسئالته في جلسائه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي

ولايولي

ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك
الناس من ثلث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما
يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت
تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث
اولهم يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء
الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى
الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يفنى
ويبقى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء
يستفزه وجمع له في الحذر اخذه بالحسن ليقتدي به وتركه القبيح لينتهى عنه
واجتهاد الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة
انتهى الوصف بحمد الله وعونه **فصل** في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله
قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر
ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كان فيه تكسر قليلا ليس بسبط
ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فوقها

والآتي كما معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيّره وهذا كما قال
في الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق الناصع البياض
والآدم الاسمر اللون ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرّب اي فيه حمرة
وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها والحاجب الازج المقوّس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل
قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث
ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر
اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع
والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد
في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر
الذي بين الصدر والسرّة بادن ذو لحم ومتماسك اي معتدل الخلق يمسك
بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس
بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما
ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال وهو احد معاني
اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه
وبه يتضح قوله قيل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض
البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية

الاخرى

الاخرى حكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث
الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس العظام والمناكب والكتد مجتمع الكتفين
والقدمين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف
او قال سائن بالنون وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها
واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف اشارة الى فخامة جوارحه كما
وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء
والجود خمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدمين وهو الموضع الذي
لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو
عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح ابن
مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله
شثن القدمين ومسيح القدمين اي املسهما والتقلع رفع الرجل بقوة
والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو اي مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف
مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما
ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب

تمادح بهذا وتدق بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله
نيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه مايوصل الخاصة
اليه فتوصل الخاصة عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء
آخر بالعامة ويدخلون روادًا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون
الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه وليشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب
والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله
لايوطن الاماكن اي لايتخذ لمصلاه موضعا معلومًا وقد ورد نهيه صلى
الله عليه وسلم عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه
على مايريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لايذكرن بسوء ولا تُنثى فلتاته اي
يتحدث بها اي لم يكن فيه فلتة وان كانت من احد ستوت ويرفدون يعينون
والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثنا الا من مكافئ قيل مقتصد
في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من
النبي صلى الله عليه وسلم له ولا يستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه
منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها الباب
الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لاخلاف
انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة

واقربهم زلفى اعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا
منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ماورد منها في اثني عشر فصلا
الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفا ورفعة الذكر
والتفضيل وسيادة ولد آدم وماخصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة
اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال
حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب
عن ابيها ثنا حاتم هو بن عقيل عن يحيى هو بن اسمعيل عن يحيى الحماني
ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن بن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما
فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب
الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولافخر
ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا
يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة

بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد
ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث
انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر وعن عائشة عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال
قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب
افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي عليه السلام اتي بالبراق ليلة اسري
به فاستصعب عليه فقال له جبرائيل امحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على
الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله
آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي
في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن
عبد المطلب رضي الله عنه فيه بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي
مستودع حيث يخصف الورق   ثم هبطت البلاد لا بشر   انت ولا مضغة
ولا علق   بل نطفة تركب السفين وقد   الجم نسرا واهله الغرق   وردت
نار الخليل مكتتما   في صلبه انت كيف يحترق   تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق   حتى احتوى بيتك المهيمن من   خندف عليا

تحتها

تحتها النطق   وانت لما ولدت اشرقت الارض   وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور   وسبيل الرشاد نخترق   وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر
بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي
نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل ادركته
من امتي الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى
الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية اخرى بدل هذه الكلمة وقيل لي
سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع
وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل الاسود العرب لان الغالب على
الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وفي الحديث الآخر عن
ابي هريرة ونصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح
خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون
وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم
واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض
واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا
فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا
محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة

وقيل البيض والسود من الاعاجم
وقيل الحمر الانس والسود الجن صح

النار وحملت العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن رواية
ابن وهب انه عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسئل
يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت
سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك
اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب
امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي
حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي
سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع
امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا
وطيب لي ولامتي الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل
علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي
من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة
معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء
ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها

قرن

قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول لهذا الجنس وقد بسطنا
القول فيه وفيما ذكرنا فيه سوى هذا في آخر باب المعجزات وعن علي كل نبي اعطي
سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن
مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط
عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من
نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته ودعوة ابي ابرهيم وبشارة
عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا عليه السلام على اهل
السماء وعلى الانبياء قال وما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل
السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا
قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اخبرنا عن نفسك
وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي
فقال نعم انا دعوة ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له
قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ

لي خلف بيوتنا نرعي بهماً لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي
حديث آخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري الي مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتي
انقياه قال في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده
من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده
مكانه وامر الآخر يده علي مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل قال
قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما
لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته
فوزني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزني بهم فوزنتهم ثم قال
دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني الي
صدورهم ثم قبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري
ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما
اكرمك علي الله ان الله معك وملائكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا
عني فكانما اري الامر معاينة وحكي ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي
وغيرهما ان آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروي
تقبل توبتي فقال له الله تعالي من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع

من الجنة

من الجنة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ويروي محمد عبدي ورسولي
فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله
تاويل قوله تعالي فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية اخري فقال
آدم لما خلقتني رفعت راسي الي عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد
رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فاوحي الله اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما
خلقتك قال وكان آدم يكني بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج
بن يونس انه قال ان لله تعالي ملائكة سياحين في الارض عبادتهم كل
دار فيها احمد او محمد اكرامًا منهم لمحمد صلي الله عليه وسلم وروي ابن قانع
القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما اسري بي الي
السماء الدنيا اذا علي العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي
التفسير عن ابن عباس في قوله تعالي وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب
فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف
يضحك عجبا لمن يري الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا
اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس علي باب الجنة مكتوب اني
انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد
علي الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله محمد تقي مصلح

وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة

وستيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودًا
ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر
الاخباريون ان ببلاد الهند وردًا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة
نادي مناد الا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام
وروي ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك قال سمعت
اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نمي ورزقوا ورزق جيرانهم
وعن عبد الله بن مسعود ان الله تعالى نظر الي قلوب العباد فاختار منها
قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكي النقاش
ان النبي عليه السلام لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث
فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجات والرؤية وامامة
الانبياء والعروج به الي سدرة المنتهي وما راي من ايات ربه الكبري
ومن خصايصه عليه السلام قصة الاسرى وما انطوت عليه من درجات
الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله
سبحانه سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية وقال

والنجم اذا هوي الي قوله لقد راي من ايات ربه الكبري فلا خلاف بين المسلمين
في صحة الاسري به عليه السلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح
عجايبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا
ان نقدم اكملها ونشير الي زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي والفقيه ابو بكر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد
من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا
ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ
ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون
البغل يضع حافره عند منتهي طرفه قال فركبته حتي اتيت بيت المقدس فربطته
بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم
خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال
جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الي السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بادم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الي
السماء الثانية فاستفتح جبريل وقيل من انت قال جبريل وقيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة

عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله على نبينا وعليهما وسلامه
فرحبا بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول
ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا
ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون عليه السلام
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله
فاذا انا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم عليه السلام مستندا ظهره الى البيت
المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ولا يعودون اليه ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال
قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة
في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين
صلاة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك
فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف
على امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان

امتك

امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع
بين يدي ربي وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا
فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته
فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت قد رجعت الى ربي فاستحييت منه قال القاضي رحمه الله
جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه اصوب
من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك
بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم
وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك
قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرى ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى
ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي عليه
السلام وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة
من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء
الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كانت قصة واحدة وانه وصل

الي بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روي
يونس عن بن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال فرج لي سقف بيتي زاد نزل جبرائيل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الي السماء فذكر القصة وروي
قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير
وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن
انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسرا زيادات نذكر منها نكتة مفيدة
في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق
ابن عباس ثم عرج بي حتي ظهرت بمستوي اسمع فيه صريف الاقلام وعن
انس ثم انطلق بي حتي اتيت سدرة المنتهي فغشيها الوان لا ادري ما هي
قال ثم ادخلت الجنة وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس هذا زائد ما هنا فقيل
لي هذه السدرة المنتهي ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي
السدرة المنتهي يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفي
وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعون عاما وان ورقة منها مظلة الخلق

فغشيها

وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسي بكي فنودي ما يبكيك قال هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتي بيت المقدس فنزل فربط فرسه الي الصخرة فصلي مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبرائيل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم حياه من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء عليهم السلام فاثنوا علي ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسي وعيسي وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلي الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلي الله عليه وسلم اثني علي ربه فقال كلكم اثني علي ربه وانا اثني علي ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل الفرقان فيه تبيان كل شيء جعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد صلي الله عليه وسلم ثم ذكر انه عرج به الي السماء الدنيا ومن سماء الي سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهي الي السدرة المنتهي وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشي السدرة ما يغشي قال فراش من ذهب

فغشيها نور وغشيها الملائكة قال فهو قوله تعالي اذ يغشي السدرة ما يغشي
فقال تبارك وتعالي له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسي تكليما واعطيت داود ملكا عظيما سخرت له الانس
والجن والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت
عيسي التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا
فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الي الناس كافة وجعلت
امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتي
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا
واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك اولهما فاتحا وخاتما وفي حديث
مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسي بكي فنودي ما يبكيك قال رب
هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي
حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة
فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني
بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتي اتي بيت المقدس فنزل فربط
فرسه الي الصخرة فصلي مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل

والانس له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما

من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه
قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم
لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم
وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي عليه السلام فقال ان
محمدا عليه السلام اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي
الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل
علي القران فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا
وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني
وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم
محمد ثم ذكر انه عرج بي الى السماء الدنيا الى السما ومن سماء نحو ما تقدم وفي حديث
ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي
ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب و[illegible] في الرواية الاخرى
قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد
ما راى الاية راى جبريل في صورته له ست مائة جناح وفي حديث
شريك انه راى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به

ذلك

ذلك بما لا يعلمه الا الله قال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن
انس انه عليه السلام صلى بالانبيا ببيت المقدس وعن انس قال عليه السلام
بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى
شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى
سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل
كانه حلس لاط وادلي دوني الحجاب فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح
لي باب السماء ورايت النور الاعظم واذا دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت
ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب لما اراد
الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب
يركبها فاستصعبت عليها فقال جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي
يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق
مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال
الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله
الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله

حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام باهل
اهل السما فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه
اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي
رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق
فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما يحيط بمقدر
محسوس ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شا
وكيف شا كقوله عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا
الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به
من وراه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته
وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي
خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي فدل ان هذا
الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال
اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما
قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما
من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى
واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره
انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى

وماكان

وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب
بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه
فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه
والله اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلما هل كان اسري بروحه ام
بجسده على ثلث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسري بالروح وانه
رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية
وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم
قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك وما حكوا عن عائشة ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم
في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا في المسجد الحرام
وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسرا بالجسد وفي اليقظة وهذا هو
الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وابي هريرة وعمر ومالك
بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير
وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد
وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة
عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين
والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت

المقدس والى السما بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسرا
الذي وقع التعجب فيه تعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه
وسلم به واظهار الكرامة له بالاسرا اليه قال هولا ولو كان الاسرا بجسده
الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه
الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم
من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليماني وقال والله ما زالا عن
ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رحمه الله والحق من هذا والصحيح
ان شاء الله انه اسرا بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية
وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل
الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان
مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقول الله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من
المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان
عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا
ببيت المقدس في رواية انس او في السما على ما روى غيره وذكر مجي

جبريل

جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السما فيقال ومن معك فيقول
محمد ولقائه الانبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة
ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل
بيدي فعرج بي الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى
فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين راها النبي صلى الله عليه
وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل
فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ارشيا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا
فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر
خبر البراق وعن ام هاني ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
في بيتي تلك الليلة صلى العشا الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هاني لقد
صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا الوادي ثم جيت بيت المقدس
فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين في انه بجسمه
وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي عليه السلام
ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان
جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا [illegible] بملك
قائم معه آنية ثلث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة
فيحمل علي ظاهرها وعن ابي ذر عنه عليه السلام فرج سقف بيتي وانا بمكة
فنزل جبرائيل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الي آخر القصة ثم اخذ
بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الي زمزم فشرح صدري وعن
ابي هريرة لقد رايتني في الحجر وقريش تسئلني عن مسراي فسئلتني عن اشياء لم
اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر
وقد روي عن عمر بن الخطاب في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم
رجعت الي خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجج من قال انها
نوم احتجوا بقوله تعالي وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قلنا
قوله سبحان الذي اسري بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسري وقوله فتنة
للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به
احد لان كل احد يري مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في
اقطار متباينة علي ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الي
انها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير
هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين
النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه

اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله
والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما
يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعني
اصبحت واستيقظت من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن
طول ليلة وانما كان بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام
لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من
مشاهدة الملاء الاعلي وما راي من ايات ربه الكبري فلم يستفق ويرجع
الي حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة علي مقتضي لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء
حق ينام اعينهم ولا ينام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الي نحو
من هذا قال تغميض عينه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا
ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسري حالات
ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه
قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع
وقوله في الرواية الاخري بين النائم واليقظان فيكون سمي هيئته بالنوم
لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الي ان هذه الزيادات من النوم
وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هو من رواية شريك

وفي رواية عنه بينا انا في الحطيم
وربما قال في الحجر مضطجع صح

عن انس نعي منكرة من روايته اذ اشق البطن في الاحاديث الصحيحة انما
كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان
يبعث والاسرا بالاجماع كان بعد البعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية
انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه
لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة
وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث
الي واما قول عائشة ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة
لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت
بعد على الخلاف في الاسرا متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام على
قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في
الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل
قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس قبل الهجرة والحجة لذلك تطول ليست
من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك عن
غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا
في حديث ام هانئ وغيرها وايضا فليس في حديث عائشة بالثابت والحديث
الاخر اثبت ولسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد
روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي عليه السلام الا

في

في المدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها
ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل
فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه القلب وهذا يدل على
انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما
كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها
وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم
لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة حدثنا ابو الحسين
سراج بن عبد الملك الحافظ بقرائتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب
الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت
بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود
بن آدم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة
يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة
بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه
انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا

جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن بن عباس انه راه بعينه
وروي عطا عنه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفواده مرتين وذكر
ابن اسحق ان بن عمر ارسل الي بن عباس يسئله هل راي محمد ربه
فقال نعم والاشهر عنه انه راي ربه بعينيه روى ذلك عنه من طرق
وقال ان الله اختص موسي بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالروية وحجته
قوله تعالي ما كذب الفواد ما راي افتمارونه علي ما يري ولقد راه نزلة
اخري قال الماوردي قيل ان الله تعالي قسم كلامه وروايته بين موسي
ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو
الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروي عبد الله بن الحرث قال اجتمع
ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا عليه
الصلوة والسلام قد راي ربه مرتين فكبر كعب حتي جاوبته الجبال وقال ان الله
قسم رويته وكلامه بين محمد وموسي فكلمه موسي وراه محمد بقلبه وروي شريك
عن ابي ذر في تفسير الاية قال راى النبي صلي الله عليه وسلم ربه وحكي
السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلي الله عليه
وسلم سئل هل رايت ربك فقال رايته بفوادي ولم اره بعيني وروي مالك
بن يخامر عن معاذ عن النبي عليه السلام قال رايت ربي وذكر كلمة فقال
يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف

بانه لقد راي محمد ربه وحكي ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن بن مسعود وحكى بن اسحق ان مروان سال
الله
ابا هريرة هل راي محمد ربه فقال نعم وحكي النقاش عن احمد بن حنبل
قال انا اقول بحديث بن عباس بعينه راه راه حتي انقطع نفسه يعني
نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول
برويته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره
وقد اختلف في تاويل الاية عن بن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود
فحكي عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن وبن مسعود راي
جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه راه وعن ابن عطا
في قوله تعالي الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للروية وشرح صدر
موسي للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رحمه الله وجماعة
من اصحابه انه راى الله ببصره وعيني راسه وقال كل اية اوتيها نبي من
الانبيا عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الروية
ووقف بعض مشايخنا هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ان
يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والحق الذي لا امترا فيه ان رويته
تعالي في الدنيا جايزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل علي جوازها
في الدنيا سوال موسى لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز علي الله وما لا يجوز عليه

بل لم يسئل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه
الا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي
ثم ضرب له مثالا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا
ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير
مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف
التاويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل
بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة
وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول
ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه
التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله
لن تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان
من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص
الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث يتطرق التاويلات وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي
ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان
يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف

والمتاخرين

والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا
وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية
فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم
انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا
لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رأى الباقي بالباقي وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القوة فاذا قوى
الله من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه
وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما
بقوة الالهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم
وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه ان موسى عليه
السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك
خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر
بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله
هذا يدل على ان موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه

وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له عليه السلام اذ جعله دليلا علي الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه علي آيتي النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلي الله عليه وسلم وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الي النبي صلي الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكي بعض شيوخنا انه روي نوراني اراه وفي حديثه الآخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما علي صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالي وانما راي نورا منعه وحجبه عن رؤية الله عز وجل والي هذا يرجع قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما جاء في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلي ثم دنى فتدلي والله قادر علي خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ

لا استحالة

لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالي **فصل** واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالي وكلامه معه بقوله فاوحي الي عبده ما اوحي الي ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين علي ان الموحي الله الي جبريل وجبريل الي محمد الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحي اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والي هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله تعالي دنى فتدلي قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالي وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسي وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلي الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلي الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي

انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجي في مشكل هذين الكلام
الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه
وكلام الله لمحمد عليه السلام ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلام
تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة
على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف
يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء
بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد في حديث
الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله ثم دنى فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين
محمد وجبريل او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي
وقال ابن عباس هو محمد دنى فتدلى من ربه وقيل معنى دنى قرب فتدلى
زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى
النقاش عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى
فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس

هو

هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا
من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام
ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار
رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ما شاء
واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب القرظي هو محمد
دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر محمد ادناه ربه
منه حتى كان منه كقاب قوسين قال جعفر بن محمد والدنو من الله
لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو
الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة
والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب
هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن
جعفر الصادق وليس بدنو حد وانما دنو النبي عليه السلام من ربه
وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته
ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط
واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد
الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم

انه بنفسه دنا جعل ثُمَّ مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلّى بُعْداً
يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق تعالى ولا بعد وقوله قاب قوسين او
ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة
عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة
من محمد عليه السلام وعبارة عن اجابة الرغبة وتضاء المطالب واظهار التحفي وانافة
المنزلة والمرتبة من الله له ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة اى قربه بالاجابة
والقبول واتيانه بالاحسان وتعجيل المامول فصل في ذكر تفضيله في القيمة
بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين ثنا
ابو يعلي ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين ابن يزيد الكوفي
ثنا عبد السلم بن حرب عن ليث عن الربيع ابن انس عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم
اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم
على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع عن انس في لفظ هذا
الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم
اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الكرم بيدي
وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون

دعي

وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر وعن ابي هريرة عنه عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول
من تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن بن عباس انا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا
اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة
وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي عليه السلام انا سيد الناس يوم القيمة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة
وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم
القيمة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة
ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي
ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم
في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة

اذ لجاء الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو ح

دون غيره الذي لجأ اليه الناس في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين
البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك
في الدنيا وكذلك لجأ الى محمد عليه السلام جميع الناس في الشفاعة فكان
سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه
ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لم يظمأ ابدا وعن ابي ذر نحوه قال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه
ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق
وفي رواية حارثة ابن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس
وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد
وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليماني وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن حبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله
الصنابحي وابو هريرة والبراء بن عازب وجندب وعائشة واسماء بنت

ابي

ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم **فصل** في تفضيله بالمحبة والخلة
جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص رسول الله صلى الله عليه وسلم على السنة
المسلمين بحبيب الله **اخبرنا** ابو القاسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت
احمد قالت **حدثنا** القاضي ابو الوليد **ثنا** عبد الله بن احمد **ثنا** ابو الهيثم
ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف **ثنا** محمد بن اسماعيل **ثنا** عبد الله بن محمد
ثنا ابو عامر **ثنا** فليح **ثنا** ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي
عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر
وان صاحبكم خليل الله وعن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله
صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي عليه السلام
ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا ابرهيم وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى
كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم
وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو
كذلك وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله
لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر

وفي حديث ابي هريرة من قولات تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم اني
اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع
الي الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء
وسمي ابرهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره
وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ
من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته علي ربه وانقطع
اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمي في النار
فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة
المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك
تعالي في قوله في كتابه وقالت اليهود والنصاري نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب الا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة
اقوي من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالي ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة فاذا
تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الي الله تعالي

ووفق حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسايط
والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالي لهما وخفي الطافه عندهما
وما خالل بواطنهما من اسرار الهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتي لم يخالطهما حب لغيره ولهذا قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معني قوله عليه السلام
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف
العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها
بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص
ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
بقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق
المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهما واكثرهم جعل
المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل
ابرهيم واصل المحبة الميل الي ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح
الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه
حتي يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته

كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به
ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غيراته واخلاص الحركات ثم وصفاء القلب كما قالت عائشة كان خلقه القرآن يرضا
يرضي ويسخطه يسخط ومن هذا عبّر بعضهم عن الخلة بقوله قد
تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت
حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا فاذا مزية الخلة وخصوصية
المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة
المتلقات بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني حكى اهل التفسيرات هذه الآية لما نزلت قالت الكفار انما يريد
محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم
ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم
بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب
الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما
في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة
على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل
يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
والحبيب يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل

الذي

الذي يكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تأخر والخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي
الله النبي فابتدي بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله
والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان
صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل
المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا حدثنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب الي به
بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد
وابو احمد قالا ثنا محمد بن يوسف قال ثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا
اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول
ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان
اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله

صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي
الشفاعة وروي كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا
وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضرا ثم يوذن لي فاقول ما شا الله ان
اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي
حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده
وعن بن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش مقاما
لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن صح وفي رواية هو المقام
الذي اشفع لامتي فيه وعن بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني لقايم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك
وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه عليه السلام خيرت بين ان تدخل
نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها
للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين والمتلطخين صح وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله
ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله
مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق
لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوتيني شفاعة يوم
القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث

يسمعهم

يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس
الا باذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر
ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا
ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك
المقام المحمود الذي ذكر الله وقال بن عباس اذا دخل اهل النار النار
واهل الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فيقول
زمرة اهل النار لزمرة اهل الجنة ما ينفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة صح فيسالون ادم وغيره بعد في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام
المحمود ونحوه عن بن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن حسين عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد
صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام
محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا هو المقام المحمود الذي وعده
وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة وقال قتادة
كان اهل العلم يرون او يعتقدون ان المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود
هو مقامه عليه السلام للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة
ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الاخبار عنه عليه السلام

وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا يثبت
اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سديد نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر
لكن ما فسره النبي عليه السلام في صحيح الآثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه
مع انه لم يات في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفي اطلاق
ظاهره منكر من القول وشنيعة وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم
في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة
فيهمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق آخر عنه
ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ الناس من
الغم ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون آدم فيقولون
زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
واسكنك جنته واسجد لك ملئكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك
حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل
الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا
تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله نفسي نفسي قال وفي رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه

بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقولون
انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا وذكر مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن
نفسي نفسي فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية
فانه عبد آتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول
لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب قتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم
بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم
بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها
فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي
رواية فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه
فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي
من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قال وفي رواية
ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع
راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب
عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك
من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وفي رواية وقال مكانه

ثم اخر ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع
تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة
من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده
بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم
ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال
حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل
يسمع واشفع تشفع واسئل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله
الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا
ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران
اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة ابن عامر وابي سعيد وحذيفة
مثله قال فياتون محمدا فيؤذن له وتاتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي
الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمداً صلى الله
عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم
حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازاً الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون
اول من يجيز يومئذ وعن بن عباس عنه عليه السلام توضع للانبياء

منابر

منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي
منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل
حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من
يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى
النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من
نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة
ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي
فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار
تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض
من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته
عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع
الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه
وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث
اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث

الصحيح

ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث
ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه عليه السلام وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة أعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها
مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم دعوة مستجابة ولنبينا منها ما لا يعد
لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة
فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد ابن زياد
وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته
فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية
ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة
عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه
الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله
عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر
لهم هذه الدعوة يوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه
الله احسن ما جزا نبيا عن امته وصلى الله عليه كثيرا وسلم **فصل**
في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام

ابن احمد بقراءتي عليهما قالا **ثنا** ابو علي الغساني **ثنا** النمري **ثنا** عبد المؤمن
ثنا ابو بكر التمار **ثنا** ابو داود **ثنا** محمد بن سلمة **ثنا** ابن وهب عن ابن لهيعة
وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير
عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع النبي عليه السلام يقول اذا
سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة
صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله تعالى
لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى
درجة في الجنة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا
انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل
ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج
مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم
يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن
عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه
قال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة
فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي

وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من
لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له
من الازواج والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر
واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل كقوله فيما اخبرناه الاسدي قال **حدثنا** السمرقندي
ثنا الفارسي **ثنا** الجلودي **ثنا** ابن سفين **ثنا** مسلم **ثنا** ابن مثنى **ثنا** محمد
بن جعفر **ثنا** شعبة عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم
نبيكم عليه السلام يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما
ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس ابن متى وفي غير هذا الطريق عن
ابي هريرة قال يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة
في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من
الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية
لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس
بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وفي
حديثه الاخر جاء رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابرهيم فاعلم ان
للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل

وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى صح

ان يعلم

ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل
بغير علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله
هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قال عليه السلام
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث
ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم او الغض لا سيما في جهة
يونس عليه السلام اذ اخبر الله تعالى عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من
لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه
اذ ابق الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم
عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا تتفاضل وانما التفاضل
في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في
نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها فلذلك منهم رسل
ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم
صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم
هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر

واشهر او تكون امته ازكي و اكثر او يكون في ذاته افضل واطهر وفضله في ذاته
راجع الي ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع
فحفظ صلي الله تعالي عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه
بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن
في عصمته شفقة منه صلي الله عليه وسلم علي امته وقد يتوجه علي هذا
الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الي القائل نفسه اي لا يظن
احد وان بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل
ما حكي الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلا وان تلك الاقدار لم تحطه
عنها حبة خردل ولا ادني وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله
تعالي فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض **فصل** في
اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسي بن
ابي تليد الفقيه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن
اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيي قال ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد
بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم
لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر

وانا

وانا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه
محمدا واحمد فمن خصايصه تعالي له ان ضمن اسماءه ثناءه فطوي اثناء
ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد
مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو محمد صلي الله عليه وسلم اجل من حمد
وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه
الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال
عليه السلام ما لم يعط غيره وسمي امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق
ان يسمي محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته
فن اخر هو ان الله جل اسمه حمي ان يسمي بهما احد قبل زمانه اما
احمد الذي اتي في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالي بحكمته ان
يسمي به احد غيره ولا يدعي به مدعو قبله حتي لا يدخل لبس علي ضعيف
القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم
الي ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه
محمد فسمي قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو
والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي

ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان
بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم
ويقال ان اول من سمي محمد ابن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد الازدي
ثم حمى الله كل من يسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه
سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع
فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون
محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه
يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى
ليظهره علي الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به
سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي اي علي زماني
وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالي وخاتم النبيين ويروي عقبي
وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس
بعده نبي وقيل معني علي قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال الله تعالي
لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل علي قدمي علي
سابقتي قال الله تعالي ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل علي قدمي اي قدامي
وحولي اي يجتمعون الي في القيمة وقيل قدمي سنتي ومعني قوله لي خمسة اسماء
قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة

والله

والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه
ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي
يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة
اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع
الكامل كذا وجدته ولم اروه واري ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد
عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود
عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة وقد يكون القيم
بمعناه وروي النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسماء محمد
واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي
موسي الاشعري انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه باسماء فيقول انا
محمد وانا احمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروي
نبي المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالي ومعني المقفي معني العاقب
وقيل المتبع للنبيين واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله
تعالي وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم الي صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم
وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال الله تعالي فيهم وتواصوا بالصبر

وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة
لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة
مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب
من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم
من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال
والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى
وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه
عنه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال انت قثم اي مجتمع قال والقثوم
الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت
من القابه عليه السلام وسماته في القران عدة كثيرة منه زائد سوى ما ذكرناه
كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد
والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق
ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم
والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الى الله في اوصاف كثيرة
وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث
رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم
والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن

والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام
المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض
المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق
والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان
وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم
السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب
البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة
ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا اي حامي الحرم قاله الهروي والخاتم
والخاتم حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب الخاتم الذي ختم الانبياء والخاتم
احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه
ايضا في التورية احيد وروي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب
اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به
وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام
وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا
وأراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه
بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب

والعمايم تيجان العرب واوصافه والقابه صلى الله عليه وسلم وسماته في
الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وهو حسبي ونعم الوكيل
وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد له ابرهيم
جاءه جبريل فقال له السلام عليك يا ابا ابرهيم **فصل** في تشريف الله تعالى
له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي
ابو الفضل رحمة الله عليه ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه
في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية
الي استنباطه ولا اثار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض
في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله
تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحق
واسماعيل بعليم وحليم وابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر
وهرون وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر
واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم
وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى
السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار
الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين
وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم

الي

الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الان ويفتح
غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمي النبي عليه السلام
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد
بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه
تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال
وبالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه الحق المبين ومعنى الحق الموجود
والمتحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والاهيته بان وابان بمعنى
واحد ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي بذلك
في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل اني انا النذير
المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
قيل محمد وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره
وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه
به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو
النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين
بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد

نبوته
وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان
وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا
فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى
الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل
العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه
تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل قال عليه السلام
انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن اسمائه
تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التورية عن
اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه
تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل
المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود عليه السلام بجبار
فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة
يمينك ومعناه في حق النبي عليه السلام اما لاصلاحه الامة بالهداية
والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفي عنه
تعالى في القران جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار

ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل
معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا
المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي
صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي عليه السلام والمسئول الله
تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين وقيل لانه عالم على غاية من العلم
بما اعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له
في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح
ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان
تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله
تعالى نبيه محمدا عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسرا الطويل من رواية
الربيع ابن انس عن ابي العالية او غيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله
تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي عليه السلام في ثنائه
على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح
هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة
الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة والمبدأ المقدم
في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق

وآخرهم في البعث ومن أسمائه تعالي في الحديث الشكور ومعناه المثيب
على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام
فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي عليه السلام بذلك نفسه فقال افلا
اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا
نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالي لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه
تعالي العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه بالعلم وخصه
بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالي الاول
والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها
وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء
في الخلق وآخرهم في البعث وفي هذا قوله تعالي واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا وقد اشار الى نحو منه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الآخرون السابقون وقوله انا
اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع
وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالي القوي
وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالي بذلك فقال ذي قوة
عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالي الصادق

في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق
ومن اسمائه تعالي الولي والمولي ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالي انما
وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مومن وقال الله تعالي
النبي اولي بالمؤمنين من انفسهم وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه
ومن اسمائه تعالي العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالي بهذا
نبيه في القرآن والتورية وامره بالعفو فقال خذ العفو وامر بالعرف
وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبرائيل وقد سأله عن قوله خذ
العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التورية والانجيل في الحديث المشهور في
صفته عليه السلام ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالي الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء
قال الله تعالي والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه ان يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالي له وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله مختص بالمعنى الاول قال
تعالي انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة
يطلق على غيره تعالي ومن اسمائه تعالي المؤمن المهيمن قيل هما بمعنى واحد
فمعنى المؤمن في حقه تعالي المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق

والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد لنفسه وقيل المؤمن عباده
في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين
مصغر منه فقلبت الهمزة ها، وقد قيل ان قولهم في الدعا، آمين
انه اسم من اسما، الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
والحافظ والنبي عليه السلام امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله
تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر
به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى بيتك
المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله
القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه
تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمي
بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس اي المطهر من
الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والذي يتطهر
به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من
الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير
له او المعز لغيره وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع

وورد في كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس

وجلالة

وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه
وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد
ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل
واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم
سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه
وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى
اسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء
مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي
اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات
كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض
والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى
في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه
النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات

ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة
اللفظ وجلت الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون
للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
رحمة الله عليهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا
ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية لتشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه
ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل
الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد
ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال
آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره
فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود واعترف
بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري ع
حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا
علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور
في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير
لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة

والغواية

والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته **الباب الرابع** فيما اظهره
الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات
قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا
هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز
والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل
ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة
لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات
معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق
والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع
في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله ابن سلام قال لما قدم رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه
عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب **حدثنا** به القاضي الشهيد ابو علي

رحمه الله قال ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون عن ابي
يعلي البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا عن محمد بن
بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن
سعيد عن عوف ابن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة ابن ابي اوفى عن عبد الله
بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي عليه السلام ومعي
ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروي صلى الله عليه وسلم وغيره ان ضمادا
لما وفد عليه فقال له النبي عليه السلام ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده
الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن
قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا
يقال له طارق فاخبر انه راي النبي عليه السلام بالمدينة فقال هل معكم
شي تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ
بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا
ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر
لا يخيس بكم فاصبحنا جاء رجل فقال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم
يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر
الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام

قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان
اول اخذ به ولا ينهي عن شر الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر
ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه
في قوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله
لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال
ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن
بان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في المعجزة القران وما فيه
من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة
في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء
دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل
التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجايز ان يوصل
اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير
البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع
لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على
صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي
من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد
على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد

تتبعه وجده مستوفي في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة
من همزها ماخوذة من النبا، وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا
والمعنى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل
بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه بمعنى فاعل
ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له
رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان
واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله
امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم
جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت
الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى ام بمعنيين فقيل
هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي
الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا
في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة
ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا
شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا

من

من نبي الى امة ~~[illegible]~~ او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان
الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي
رسولا واول الرسل آدم وآخرهم محمد عليه السلام وفي حديث ابي ذر
ان الانبياء مائة الف واربع وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل
منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في
تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان
النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات
وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان
سبحوا بكرة وعشيا اي اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحي الوحي
اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا
ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون
في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها
وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما
يلقيه في قلبه دون واسطة **فصل** اعلم ان تسميتنا ما جاءت به الانبياء

معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي علي ضربين ضرب هو من
نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل علي صدق نبيه
لصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران علي راي بعضهم
ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا علي الاتيان بمثله كاحياء
الموتي وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من
الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك
علي يد النبي من فعل الله تعالي وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له
واعلم ان المعجزات التي ظهرت علي يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته
وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم
اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان
واحدا منها وهو القران لا يحصي عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان
النبي عليه السلام قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور
انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها
نفسها معجزات علي ما سنفصله فيما انطوي عليه من المعجزات ثم معجزاته
عليه السلام علي قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران
فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلي الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله
بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد عليه السلام

في الدنيا

في الدنيا والمتاجاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما
تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما
سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجري علي الجملة انه قد جري
علي يديه عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها
معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها علي يديه ولا يختلف
مؤمن ولا كافر انه جرت علي يديه عجايب وانما خلاف المعاند في كونها
من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا
ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم
وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم
علي كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم
ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو
علي نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين
والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد او الاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار
غيره لكنه اذا جمع الي مثله اتفقا في المعني واجتمعا علي الاتيان بالمعجز
كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق ان
كثيرا من هذه الايات الماثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما انشقاق

القمر فالقران نطق بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يُعدل عن ظاهره الا بدليل
وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق
منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء
المؤمنين بل يُرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء
وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير
من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها
من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم
في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا
عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها
من السنن والسير وحروف القران وخطا بعضهم بعضا ووهمه في ذلك
مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا
فان الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمنة وتداول
الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير

من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا هذه الواردة
من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق
وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد
الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا
وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من اياته
على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ
ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص
المشهورة من باب الخبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايته وشغله
بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا
يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر
الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة
والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا
يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب
قراءة ام القران في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة
من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار
في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره

وايجاب النية في الوضوء، واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روي اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعن ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا انشاء الله

فصل في اعجاز القران اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللالي فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب يذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل

والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملا اجمعين ام يقولون افتريه

قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن
تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية
وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل
والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل
وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم
[illegible] ناكبون عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون
انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغترار بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر
يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى
بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز
بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا
ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم
وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل المميز

منهم

منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي
عليه السلام ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر
وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال
سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرا فلما استيئسوا منه خلصوا
نجيا قال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على راسه يتشهد
شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام
العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين يقرا اية من كتابكم
فتاملتها فاذا هي قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال الدنيا
والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه
الاية وحكي الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك
فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان
ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح
من القولين وكون القران من قبل النبي وانه اتى به معلوم ضرورة وعجز

وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة صح

العرب عن الاتيان معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز
بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقوله ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي الآية وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه الآية واشباهها
من الآي بل اكثر القرآن حققت ما بيّنته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلائم كلمها وان تحت كل لفظة
منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض
ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد
القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام
سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه
اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة منها تنسي في
البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس
من ترديدها ولا معاداة لمعادها **فصل** الوجه الثاني من اعجازه صورة

نظمه

نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها
الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم
يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت
فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم
الوليد بن المغيرة وقرا عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال
والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من
هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله
ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا
بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر ~~قالوا فنقول ساحر~~
~~قال ما هو بساحر لقد~~ قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا
عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف
انه باطل وان اقرب القول انه ساحر وانه سحر يفرق بين المرء وابنه
واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل
يحذرون الناس فانزل الله في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا
الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله
قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحرث نحوه
وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر
من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق
الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي عليه السلام قلت فما يقول الناس
قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقوال الشعراء فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق
وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد
من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل
واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منهما
اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا
ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز
في مجموع البلاغة والاسلوب وانا على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه
القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن
في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف
عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم فاكثرهم يقول

انه

انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه
وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب
الخوارق الممتنعة اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح
الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت
مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب
عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم
بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء
بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى
كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار
والذل وكانوا من شموخ الانف وابائة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا
ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل
بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من
هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد
جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك
خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا

فهذان نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه
من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح
الى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل
الناس في الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن لهم فيها دينهم وملكهم
اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها
وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من
سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا
كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء
من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه
والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم الآية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية وقوله لن
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار
المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى
ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول الآية وقوله تعالى

يخفون

يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله ومن الذين هادوا سماعون
للكذب الآية وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون
يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير
الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر
النبي عليه السلام بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزئون
نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك
من الناس وكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك
معروفة صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما انبأ الله به من اخبار القرون
السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة
الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي
عليه السلام على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته
وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه عليه السلام امي لا يقرأ
ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله
احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه عليه السلام عن هذا
فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم
وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان

وابنه واشباه ذلك من الانبياء وبدء الخلق والقصص وما في التورية والانجيل والزبور
وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر
منها بل اذعنوا الى ذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند
حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم
له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما
انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه
عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم
شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام
ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في
التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم الذي نزل فيها القران
فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده اياه كاهل
نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة
وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته بقيل
له فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع وبخ ودعا الى احضار ممتنع عنه
بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان احدا منهم

اظهر

اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله
تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب ويعفوا عن كثير الآيتان **فصل** هذه الوجوه الاربعة من اعجازه
بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير
هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة من دون الناس الآية قال ابو اسحاق الزجاج في هذه
الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي عليه السلام
والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم
الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم
يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد
فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم
انهم لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم
عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك
آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام
فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا

منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم
انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن
الغيب لكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق
قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته
لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له
ولهذا قال عليه السلام ان هذا القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
واما المومن فلا يزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا
وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو
انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا
يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له
مم بكيت قال للشجي والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام
وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي

في الصحيح

في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي عليه السلام في المغرب يقرا
بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله
المصيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان
في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي عليه السلام فيما جاء به من
خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده
الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ
ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي
صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله
ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام
والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير
واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك
فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض
ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من
كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس
في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها
وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة

والاوبة **فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية لاتعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها
والقران العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان
عليه اليوم مدة خمسمائة وخمس وثلثين سنة لاول نزوله الى قوله
رضي الله عنه الى وقتنا هذا هو الوقت الذي جمع فيه ولم يكن الوقت
سقرا فيه لان الوقت الذي سقرا فيه هو مدة تاريخك وقوله كان
على تاريخ وقته رضي الله عنه وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته
ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة
البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي
للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في نقضه
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على
عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الائمة في اعجازه وجوها كثيرة منها
ان قارئه لايمله وسامعه لايمجه لايزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو
بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا

بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة

يستلذ

يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لايوجد
فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم
على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القران بانه لايخلق
على كثرة الرد ولا ينقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع
منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن
حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم
ومعارف لم يعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام
بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم
فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على
فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام
المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها
اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير
وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم
قال الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال عليه السلام ان الله
انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نباكم

وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا ينقضي
عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم
به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الي صراط
مستقيم ومن طلب الهدي من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا
ينقضي عجايبه ولا يخلق علي كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه
ولا يختلف ولا يتشان فيه نبا الاولين والآخرين وفي الحديث قال الله
عز وجل لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا
عميا وقال تعالي ان هذا القرآن يقص علي بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال هذا بيان للناس وهدي الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع
كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها علي الضعف منه مرات ومنها
ما جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن
وصفه وايجازه وبلاغته واثنا هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم اسهل علي النفس واوعي للقلوب واسمع في الآذان
واحلي علي الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره

تعالي

تعالي حفظه لمتعلمه وتقريبه علي متحفظه قال الله تعالي ولقد يسرنا القرآن
للذكر وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم الغفير علي مرور السنين
عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه
بعضا وحسن ايتلاف انواعها والتيام اقسامها والتخلص من قصة الي اخري
والخروج من باب الي غيره علي اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة
علي امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد
وترغيب وترهيب الي غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام
الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه
وتقلقلت الفاظه فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم
مما اتي به والخبر عن اجتماع ملائهم علي الكفر وما ظهر من الحسد في
كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب
الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي علي
اذاهم وتسليته بكل ما تقدم وذكره ثم اخذ بذكر داود وقصص الانبياء
كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها
الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الي
وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب

ان يعدها منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة ولذلك كثير
مما قد ذكرناه عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز
الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران
وعجايبه التي لا ينقضي وبالله التوفيق **فصل في انشقاق القمر** وحبس الشمس
قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة
عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه **اخبرنا** الحسن بن محمد
الحافظ من كتابه **حدثنا** القاضي سراج بن عبد الله **ثنا** الاصيلي **ثنا**
المروزي **ثنا** الفربري **ثنا** البخاري **ثنا** مسدد **ثنا** يحيى بن سعيد عن شعبة وسفيان
عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي
عليه السلام وفي بعض طرق الاعمش ونحن بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود
وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان
بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا
ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم
من بلد آخر هل راوا هذا فاتوا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك

وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا
الى اهل الافاق حتى ينظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه
منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود
علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه
ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم
فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية
فاراهم انشقاق القمر حتى راوا حرا بينهما رواه عن انس قتادة وفي
رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد
وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد
الرحمن السلمي ومسلم ابن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذا الحديث
صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان
هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا
عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا
عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس

القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم الارض او يحول
بين قوم و بينه سحاب اوجبال و لهذا تجد الكسوفات في بعض البلاد
دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لايعرفها
الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة
من الناس بالليل الهدو والسكون واجاف الابواب وقطع التصرف ولا
يكاد يعرف من امور السما شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك
ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لايعلم به حتى يخبر
وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الاحيان بالليل في السما ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يوحي اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعدما غربت
ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول
لاينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات
النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق

لما اسري

لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي
في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش
ينظرون وقد ولي النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل** في نبع الماء من بين اصابعه
وتكثيره ببركته عليه السلام اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث
نبع الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس
وجابر وابن مسعود **حدثنا** ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله
بقراتي عليه **ثنا** القاضي عيسى بن سهل **ثنا** ابو القاسم حاتم بن محمد
ثنا ابو عمر بن الفخار **ثنا** ابو عيسى **ثنا** يحيى **ثنا** مالك عن اسحاق بن عبد الله
بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوضو فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
الانا يده وامر الناس ان يتوضوا منه قال فرايت الما ينبع من بين اصابعه
فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة
وقال باناء فيه ما يغمر اصابعه او لايكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثماية
وفي رواية عنه وهم بالزورا عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن
عن انس وفي رواية حميد قال كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه

وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا وان ابن مسعود ففي الصحيح عنه
من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا
ما فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي
بما فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم
بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا
ما في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور
من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف
لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه
كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث
مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء
شجب فاتي بها النبي فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط
يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه فقال بسم الله
قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت

حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي
احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الجفنة وهي
ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة
ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع
اصبعه وسطها وجعل الناس يجيئون ويتوضئون ثم يقومون قال
الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه
المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم
كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم
كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور
الجم الغفير ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم وانهم
فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا
من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته ما رواه مالك
في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين
وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع
في شيء ثم غسل رسول الله عليه السلام فيه وجهه ويديه واعاده فيها
فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء
ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة

ان نري ما اهمنا ندلي أجنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه
اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة
فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جباها قال البراء وأُتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما
بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين
في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من
كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بالعطن وعن ابي
قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في
بعض اسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم
نفث فيها ام لا فشربوا حتى رووا وملؤوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها
مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن حصين وذكر الطبري
حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم مُمِدًّا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه
معجزات وآيات للنبي عليه السلام وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد
وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلث مائة وفي كتاب مسلم انه قال
لابي قتادة احفظ على ميضأتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك
حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

عطش

عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان
امراة بمكان كذا وكذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا
بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء
الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس
فملؤوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤوه قال عمران ويخيل الي انهما لم
يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي
فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة
بن الاكوع قال نبي الله عليه السلام هل من وضوء فجاء رجل باداوة
فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة اربعة
عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى
ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم
من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي عليه
السلام رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي عليه السلام
وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير
ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل** ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته
ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري

ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا
سلمة بن شبيب ثنا الحسن ابن أعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان
رجلا اتى النبي عليه السلام يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال
ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي عليه السلام فاخبره فقال
لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس
تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول و
حديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع
من شعير وعناق قال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق
في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد ابن ميناء وايمن وعن ثابت
مثله عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل منه
في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلا ممن قدم معه عليه السلام
لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
عليه السلام ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه

وما خرج منهم احد الا حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة
فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك
حديث عبد الرحمن ابن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة
وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها
ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على
البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابي عمرة الانصاري عن ابيه
ومثله لسلمة ابن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت
الناس مع النبي عليه السلام في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء
الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر
فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي
في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم
ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة
فاكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع
وعن علي بن ابي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا
اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه

قال وايم الله ما من الثلثين ومائة الا قد حز له حزة من سواد بطنها

لم يُشرب وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره
ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدّم
تورا فيه قدر مُدٍّ من تمر جُعِل حيسًا فوضعه قدامه وغمس ثلث اصابعه
وجعل القوم يتغدّون ويخرجون وبقي التور نحو ما كان وكان القوم احدا
او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم
كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال ارفع فلا ادري حين
وُضعت كانت اكثر ام حين رُفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه
عن علي ان فاطمة طبخت قدرًا لغدائهما ووجهت عليًّا الى النبي عليه السلام
ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم غرفت له
عليه السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا
ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزوّد اربعمائة راكب من احمس فقال
يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منها وكان قدر
الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دُكَيْن الاحمسي ومن
جرير ومثله من رواية النعمن بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة
راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان
بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف
فجاءه النبي عليه السلام بعد ان امره بجذها وجعلها بيادر في اصولها

فمشى فيها ودعا فاوفى منها جابر غرماء ابيه وفضل ما كانوا يجدّون
كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من
ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فادخل يده
صلى الله عليه وسلم فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع
عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا
وقال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبّه فقبضت على اكثر
مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي
بكر وعمر الى ان قتل عثمن فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك
التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذُكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك
وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه
الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه
وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان
اصيب منه شربة اتقوّى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له
ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم
قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك

بالحق ما اجد لله مسكا فاخذ القدح وحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان
عيال خالد كثيرا يذبح الشاة ولا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله
عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلها في دلو خالد ودعا له بالبركة
فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي وفي حديث الاجري في انكاح
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا
بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت
منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن
واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجمع على معنى حديث هذا
الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم
لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق
ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما
اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي
ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا
عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر

فدنا

فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير
قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي
فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها
بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي
النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع
الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الاعرابي ائذن
لي ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لزوجها قال فائذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث
جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته
فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي
باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه
فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله

قال نعم قال وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت
حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أُحْضِرُ وجلست أُحَدِّثُ نفسي
فالتفتُّ فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبِلاً والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني
مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه
موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله عليه السلام يأمركن ان يأتين لمخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فو
الذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة
يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن
يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى
مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير
وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وَدِيَّتَين فانضمتا وفي رواية
أشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي

صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا
وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فأطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي
صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود
في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل هذا الحديث الاول او نحوه قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود
ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها
من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر
ابن فورك انه عليه السلام سار في غزوة الطائف ليلا وهو وَسِنٌ فاعترضته
سِدْرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا
وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام
قال للنبي عليه السلام ورآه حزينا أتحب ان أُرِيكَ آية قال نعم فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة
فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مُرْها فلترجع فعادت الى مكانها

وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني
بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه عليه السلام لتكذيب قومه وطلبه
الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة
مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي
فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم
يخوفونه وسال آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت
وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك ففعل فجا يخط الارض خطا حتى
انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال
يارب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني اية لا
ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن بن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني
رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح **فصل** في حنين الجذع وبعض
هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به
متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن
كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله
بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب

ابن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس
صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي
عليه السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك
الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره
وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب وابي
حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي عليه السلام فوضع يده عليه فسكت
زاد غيره فقال النبي عليه السلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره
والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر به النبي الله فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب
وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت
تحت منبره اوجعلت في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي عليه
السلام صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته
الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي عليه السلام دعاه
الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي
حديث بريدة فقال يعني النبي عليه السلام ان شئت اردك الى الحائط
الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة
وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له

النبي عليه السلام ليسمع ما يقول بل تغرسني في الجنة فياكل مني اوليا الله
واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي عليه السلام قد فعلت
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شوقا لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص
بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن
وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو
نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو
حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد
عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال
قال القاضي ابو الفضل رحمة الله عليه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل
الصحة ورواه من الصحابة ما ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم
الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب
والله المثبت على الصواب **فصل** ومثل هذا في سائر الجمادات **حدثنا**
القاضي ابو عبد الله بن المرابط **ثنا** المهلب ابو القاسم محمد بن عيسى التميمي
ثنا ابو الحسن القابسي **ثنا** المروزي **ثنا** الفربري **ثنا** البخاري

ثنا القاضي ابو عبد الله ع

ثنا

ثنا محمد بن المثنى **ثنا** ابو احمد الزبيري قال **ثنا** اسرائيل عن منصور عن
ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود قال كنا ناكل مع رسول الله عليه
السلام الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي عليه السلام كفا
من حصا فسبحن في يد رسول الله عليه السلام حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو
ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول
الله عليه السلام فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل
الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه
السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن
عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي
وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي عليه السلام

وابو بكر وعمر وعثمان أُحُدًا فرجف بهم فقال أثبت أُحُدُ فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حرا وزاد ومعه علي
وطلحة والزبير وقال انما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حرا ايضا
عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا
قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد ابن زيد ايضا مثله وذكر عشرة
وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول
الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حرا الي الي يا
رسول الله وروي ابن عمر ان النبي عليه السلام قرا على المنبر وما قدروا
الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير
المتعالي فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه ٥ وعن ابن عباس كان حول البيت ستون
وثلث مائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
عليه السلام المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها
ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه
ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود
فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق ما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك
حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله عليه السلام

فقال

فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من
قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد
الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل عليه السلام وعليه غمامة فلما دنا
من القوم وجدهم سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال الفي عليه **فصل**
في الايات في ضروب الحيوانات **حدثنا** سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ
ثنا ابي **ثنا** القاضي يونس **ثنا** ابو الفضل الصقلي **ثنا** ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا **ثنا** ابو العلا **ثنا** احمد بن عمران **ثنا** محمد بن فضل
ثنا يونس بن عمرو **ثنا** مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فاذا
كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم
يذهب واذا خرج رسول الله عليه السلام جاء وذهب وروي عن عمر
ان رسول الله عليه السلام كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي
قد صاد ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله قال واللات والعزى لا امنت
بك او يومن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي عليه السلام فقال النبي
عليه السلام يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك
وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء
عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه
قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك

وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهورة عن
ابي سعيد الخدري بينا راع يرعي غنما له اذ عرض الذيب لشاة منها فاخذها
الراعي منه فاقعي الذيب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي
قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب
من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء
ما قد سبق فاتى الراعي النبي عليه السلام فاخبره فقال النبي عليه السلام
قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروي
حديث الذيب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب
انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا اعظم منه
عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم
وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي
قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضي وذكر قصته
واسلامه ووجوده النبي عليه السلام يقاتل فقال له النبي عليه السلام
عد الي غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها
وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث ومكلم الذيب
وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه
بمثل حديث ابي سعيد وقد روي ابن وهب مثل هذا انه جري لابي سفيان

بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي
الحرم وانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن
عبد الله بالمدينة يدعوكم الي الجنة وتدعونه الي النار فقال ابو سفيان
واللات والعزي لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا
الخبر وانه جري لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي عليه السلام
فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من ضمار ولا تعجب من نفسك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي الاسلام وانت جالس وكان سبب اسلامه
وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتي النبي عليه السلام وامن به وهو على
بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم
قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الي اهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الي اهلها وعن انس دخل النبي عليه
السلام حائطا انصاريا وابو بكر وعمر ورجل من الانصار فسجدت له
فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل
النبي عليه السلام حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن
ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر
قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي

عليه السلام دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطه وقال
ما بين السماء والارض شي لا يعلم اني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عاصي الجن والانس ثم قال لهم انه شكا
كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى اليّ انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه
في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضبا وكلامها النبي
عليه السلام وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في المرعى وتجنب
الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى
ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي عليه السلام
يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة
ان النبي عليه السلام ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي عليه السلام فسترته
وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر وان العنكبوت نسجت
على بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان
ببابه والنبي عليه السلام يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط
قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها
فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبي عليه السلام في صحراء
فنادته ظبية يا رسول الله فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين
قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال

بارسول

يارسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو
في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب
ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله عليه السلام اذ وجهه
الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتاب فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية
اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى
رسول الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه
السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم بن حماد
بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه
فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي عليه السلام لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي عليه السلام لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلث
مائة فحلبها رسول الله عليه السلام فاروى الجند ثم قال لرافع املكها
وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه
فقال رسول الله عليه السلام ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها

وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعلها قبلته فما حرك عضوا حتى صلى عليه السلام ويلحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي عليه السلام لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم وفي الحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع في كتب الائمة **فصل** في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة **حدثنا** ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا **ثنا** ابو علي الحافظ قال **ثنا** ابو عمر الحافظ **ثنا** ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى **ثنا** احمد بن سعيد **ثنا** ابن الاعرابي **ثنا** ابو داود **ثنا** وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي عليه السلام بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله عليه السلام منها واكل القوم وقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روي هذا الحديث انس وفيه

قالت

قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك علي فقالوا الا نقتلها قال لا وكذلك عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله عليه السلام وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله عليه السلام قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله عليه السلام قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وفي رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك اختلف في قتله الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت وروي عنه انه قتله وروي الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر احدا منا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة

المسموته اهل التميم وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ايمة
اهل النظر في هذا الباب فمن قايل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة
الميتة او الحجر والشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيهما ويسمعها
منهما دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن
والقاضي ابي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها
اولا ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل
محتمل والله اعلم اذا لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات
اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما النطق اذا كانت
عبارة عن الكلام النفسي فلابد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام
النفسي الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالة
وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب
من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع
والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا
وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد
من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية
شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر
والموفق هو الله وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي عليه السلام

اتي

اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروى
عن معرض بن معيقب رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا
جي بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف
بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال النبي عليه السلام صدقت
بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان
يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع
وعن الحسن اتى رجل النبي عليه السلام فذكر له انه طرح بنية
له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة
احيي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها
ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة
لي فيهما وجدت الله خيرا منهما وعن انس ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني
قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك
رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا
ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله
ابن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت ابن قيس بن
شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر

يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر
الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمن بن بشير ان زيد ابن
خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين
العشائين والنسا يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا الحسن عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في
الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمن ثم
قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما
كان **فصل** في ابرا المرضي وذوي العاهات **اخبرنا** ابو الحسن
علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره قال **حدثنا** ابو
اسحق الحبال قال **ثنا** ابو محمد النحاس **ثنا** ابن الورد عن البرقي عن ابن
هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق **ثنا** ابن شهاب وعاصم
ابن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا
وقال سعد ابن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لينا ولني النبل فيقول ارم به وقد رمي رسول الله
عليه السلام يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين
قتادة يعني ابن النعمن حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروي قصة قتادة

عاصم

عاصم ابن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن قتادة ورواها
ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي
قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروي النسائي
عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادع الله ان يكشف لي عن بصري فقال له فانطلق فتوضا ثم
صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبي محمد
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري
اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان
ملاعب الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل فيها ثم اعطاها
رسوله فاخذها متعجبا يري ان قد هزي به فاتاه بها وهو
على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك
ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه وكان لا يبصر بهما شيئا
فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل
الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم ابن الحصين يوم احد
في نحره فبصق رسول الله عليه السلام فيه فبرا وتفل على شجة عبد الله
ابن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح

بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة ابن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل
زيد ابن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف
فبرئت وعلى ساق علي ابن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه
وما نزل عن فرسه واشتكى علي ابن ابي طالب فجعل يدعوا فقال النبي
عليه السلام اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل
يده فبصق عليها رسول الله عليه السلام والصقها فلصقت
رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر
مع رسول الله عليه السلام بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده
رسول الله عليه السلام ونفث عليه حتى صح واتته امراة من خثعم
معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها
اياه وامرها بسقيه ومسته به فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول
الناس وعن ابن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح
صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفأت القدر
على ذراع محمد ابن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه
فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على
السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي عليه السلام فما زال يطحنها

بكفه

بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها
من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك
فناولها ما في فيه ولم يكن يسئل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها
القى عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها فصل
في اجابة دعائه عليه السلام وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي
عليه السلام لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة
وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد
العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا
عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن انس قال
قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله
وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله
ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو
المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولدي ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت

ان اصيب تحته ذهبا ونتح الله عليه ومات فجفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن
اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه
على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد ما قاله الغاشية في
حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثون عبدا وتصدق مرة بعيرها فيها
سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وما عليها
وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد ولسعد بن
ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا
بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله
عمر الدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء
فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك
اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه
ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن
وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت
له اخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل اكثر من هذا ودعا
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر

وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده
غرائر من المال ودعا مثله لعروة بن ابي الجعد فقال لقد كنت اقوم
بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه
فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا
وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح حتى ردها
عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر
والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء
ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الا يجيعها الله
قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل ابن عمرو اية لقومه فقال
اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا
مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة الظلماء فسمي ذا النور
ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا
ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم يبق له باقية
ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك
فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة

ابن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال لامراة
اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود
في دعائه على قريش حين وضعوا السلا اي سخته على رقبته وهو ساجد مع
الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم
ابن ابي العاصي وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي عليه السلام
اي لافواه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم
بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات
فالقوه بين صدين ورضخوا عليه بالحجارة الصدق جانب الوادي
وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي عليه السلام
فرد الفرس بعد النبي على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك
له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من
ان يحاط به فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه
او باشره اخبرنا احمد بن محمد حدثنا ابو ذر الهروي اجازة ثنا
القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو
اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع
ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة

فزعوا

فزعوا مرة فركب رسول الله عليه السلام فرسا لابي طلحة كان يقطف
او به قطاف وقال غيره يبطئ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا
فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان
ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة
معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر
الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير
وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها
قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله عليه السلام يلبسها فنحن نغسلها
للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم
بن المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي عليه السلام
فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري
القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته
فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر
قبا فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه
ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم

فعاد
فمج فيه اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصّاه وكانا
فيهما
يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي للنبي عليه السلام
سمنا فامرها النبي عليه السلام الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي
مملوة سمنا فياتيها بنوها يسئلوها الادم وليس عندها شي فتعمد اليها
فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في
افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده
فيما مسه وغرسه لسلمان حين كاتب مواليه على ثلثمائة ودية
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام
عليه السلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت
كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي عليه السلام وردها فاخذ
وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول
الله عليه السلام وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه
اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش
بن عقيل سقاني رسول الله عليه السلام شربة من سويق شرب
اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا
عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة ابن النعمان وصلى معه

العشا

العشا في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضي لك
من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاله العرجون
حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة
جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل
عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان
هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد
ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور
الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن
مسعود
ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن
وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه
سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه
فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح
على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب
وروي مثل هذا القصص عن غير واحد منهم السايب بن يزيد و
مدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه

لان رسول الله صلي الله عليه وسلم مسح بيده علي بطنه وظهره فسلت
الدم علي وجه عايذ بن عمرو وكان جُرِحَ يوم حنين ودعا له فكا
له غرة كغرة الفرس ومسح علي راس قيس بن زيد الجُذامي ودعا له
فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع كف النبي عليه السلام
وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعي الاغر وروي مثل
هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه قتادة بن مِلحان
فكان لوجهه بريق كان يُنظر في وجهه كما ينظر في المراة ووضع يده
علي راس حنظلة بن حِذيَم وبرّك عليه فكان حنظلة يؤتي بالرجل
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع علي موضع كف النبي عليه
السلام فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء
فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح علي راس صبي به
عاهة فبرئ واستوي شعره وروي مثله في خبر المطلب بن قبالة
وعلي غير واحد من الصبيان المرضي والمجانين فبرؤا وعن طاوس
لم يوت النبي عليه السلام الخ واتاه رجل به أُدرة فامره ان ينضحها
بماء من عين مجّ فيه ففعل فبرئ وعن طاوس لم يوت النبي عليه
السلام باحد به مسّ فصكّ في صدره الا ذهب الجنون
ومجّ في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ

قبضة

قبضة من تراب يوم حنين ورمي بها في وجوه الكفار وقال شاهت
الوجوه فانصرفوا يمسحون القذي عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة
النسيان فامره ان يبسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل
فما نسي شيئا بعد وما يروي عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير
بن عبد الله ودعا له وكان ذكر انه لا يثبت علي الخيل فصار من
افرس العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما

فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من
جملة معجزاته المعلومة علي القطع الواصل الينا خبرها علي التواتر
لكثرة رواتها واتفاق معانيها علي الاطلاع علي الغيب حدثنا الامام
ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراته علي غيره قال ابو بكر
ثنا ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود
ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة
قال قام فينا رسول الله عليه السلام مقاما فما ترك شيئا يكون
في مقامه ذلك الي قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه

ثم قال حذيفة صح

فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ما
ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قائد فتنة الي ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد
تركنا رسول الله عليه السلام وما يحرك طائر جناحيه في السماء
الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه
عليه السلام مما وعدهم به من الظهور علي اعدائه وفتح مكة وبيت
المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى المراة من الحيرة
الي مكة لا تخاف الا الله وان المدينة لتغزي وتفتح خيبر علي يدي علي
في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها
وقسمتهم كنوز كسري وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف
والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم علي ثلث وسبعين
فرقة الناجية منها واحدة وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم
في حلة ويروح في اخري ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخري
ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم
خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم علي خيارهم وقتالهم

الترك

الترك والخزر والروم وذهاب كسري وفارس حتى لا كسري ولا فارس
بعده وقيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الي آخر
الدهر وبذهاب الامثل فالامثل وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور
الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له
الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي
له منها فكذلك كانت امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند
الي اقصي المشرق الي بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه
امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا
يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة فذهب ابن المديني
انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الي
انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي
حديث آخر من رواية ابي امامة لا يزال طائفة من امتي ظاهرين
على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول
الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية
معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد
العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي
وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها

الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وان قسيم النار يدخل
اوليائه الجنة واعدائه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة
و طائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال بقتل عثمان
وهو يقرا في المصحف وان الله عسي ان يلبسه قميصا وانهم يريدون
خلعه وانه سيقطر دمه علي قوله تعالي فسيكفيكهم الله وان
الفتن لاتظهر مادام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب
الحوأب علي بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلي كثيرة وتنجو بعد
ماكادت فنبحت علي عائشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا
تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير
ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلي من
المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو
هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة   اخركم موتا في النار فكان
بعضهم ليسئل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلي
بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني
رايت الملائكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال
عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا راسه يقطر ماء وقال الخلافة
في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون

في ثقيف

في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبان مسيلمة يعقره
الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وان الخلافة
بعده ثلثون سنة ثم تصير ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان
هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا
ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني
وبامرا يوخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امته ثلثون كذابا
آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك
ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى
يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يوتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتي زمان
الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة قريش
قال ابو هريرة لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح
في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده أثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان
سيماهم التحليق ويري رعاء الغنم رؤس الناس والحفاة العراة يتبارون

في البنات وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا
وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس
وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان
الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح
في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك
وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو
هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة
واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل
الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها
وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره
وشارطه على قتل النبي عليه السلام فلما جاء عمير النبي عليه السلام
قاصدا لقتله واطلعه رسول الله عليه السلام على الامر والسر اسلم
واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم انه سيقتل ابي بن خلف
وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله فاكله السبع وعن مصارع اهل
بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به
بين فئتين وفي سعد بن ابي وقاص لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك

آخرون

غزوة تبوك او غزوة بني المصطلق

آخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه
رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما تحقق فيروز القضية اسلم
واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف
بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه
الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به
لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب اطولهن يدا بالصدقة واخبر بقتل
الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد
بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال
في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد
فقتل عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة
كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه
وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة
بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة يجبى اليها خزائن الارض يخسف بها
يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر
لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان
دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما

يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت
النبي عليه السلام وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوي بصائرهم وقال
لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه
الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام الى ما
اخبر به جلساه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار
المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته
حجارة البطحا واعلامه بصفة السحر الذي سحر به لبيد بن الاعصم
وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر
ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل
الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها
رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم الله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار
قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسرا ونعته اياه نعت
من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون
ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب
يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن

اشراط

اشراط الساعات وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون
ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث
التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة **فصل** في عصمة
الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله
يعصمك من الناس وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداه المشركين وقيل غير
هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا
الاية **اخبرنا** القاضي الشهيد ابو علي الصدفي في قراتي عليه والفقيه
الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا **حدثنا** ابو الحسين
الصيرفي قال **ثنا** ابو يعلى البغدادي **ثنا** ابو علي السنجي **ثنا** ابو
العباس المروزي **ثنا** ابو عيسى الحافظ **ثنا** عبد بن حميد **ثنا** مسلم
بن ابرهيم **ثنا** الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق
عن عائشة قالت كان النبي عليه السلام يحرس حتى نزلت هذه
الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة فقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز
وجل وروي ان النبي عليه السلام كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه

شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني
فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة
حتي سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح
وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي عليه السلام عفا
عنه فرجع الي قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية
انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه
رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان
بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الي
قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم فقالوا له اينما كنت تقول
وقد امكنك فقال اني نظرت الي رجل ابيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقطت السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه
نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الآية وفي رواية الخطابي ان غورث
بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي عليه السلام فلم يشعر به
الا وهو قائم علي راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت
فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده
الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت

قوله ندر اي سقط ح

يا ايها

يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية كان النبي
عليه السلام يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقي ثم
قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب
تضع العضاة وهي جمر علي طريق رسول الله عليه السلام فكانما
يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت
يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول
الله عليه السلام وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر
من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن
نبيه عليه السلام فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني
والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاصي
تواعدنا علي النبي عليه السلام حتي اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا
ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتي
قضي صلاته ورجع الي اهله ثم تواعدنا ليلة اخري فجئنا حتي اذا رايناه
جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا
وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله عليه السلام فجئنا
منزله فتسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الي فهل تري لهم
من باقية فضرب ابو جهم علي عضد عمر وقال انج وقراها ربنيين فكانت

ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب
زوجة ابي لهب ح

قوله العضاة [illegible]
العضاة [illegible]
[illegible] ح

هو حجر [illegible] ح

من مقدمات اسلام عمر ومنه الهجرة المشهورة والكفاية التامة عند
ما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام
على روسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على روسهم وخلص
منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الايات ومن
العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل
الغار ما اربكم به وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد
محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد
لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين
الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب
فرسه وتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي عليه السلام فساخت
قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا
حتى سمع قراءة النبي عليه السلام وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال
للنبي اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتها
وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها مثل الدخان فناداهم بالامان
وكتب له النبي عليه السلام امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم
بالاخبار وامره النبي عليه السلام الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف
يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي

فادعوا لي فنجا ووقع في ظهور النبي عليه السلام وفي خبر آخر ان راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه
فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه
فيما ذكر بن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون اليه
ليطرحها عليه وحلف لئن راه ليدمغنه فلزقت بيده ويبست يداه
الى عنقه واقبل يرجع القهقري الى خلفه ثم ساله ان يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك فسئلوه عن شانه
ذكر انه عرض لي دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال
النبي عليه السلام ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان
رجلا من بني المغيرة اتى النبي عليه السلام ليقتله فطمس الله تعالى
بصره فلم ير النبي عليه السلام وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم
حتى نادوه وذكر ان هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره بن اسحق في قصته اذ خرج الى
بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن
جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي عليه السلام فانصرف الى
المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي

وحلف لئن راه ليدمغنه صح

انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن امية
فقال حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا
فجلس النبي عليه السلام مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبرائيل
النبي عليه السلام بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة
وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا
لئن راى محمدا يصلي ليطان رقبته فلما صلى النبي عليه السلام اعلموه
فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه
فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملو نارا كدت اهوي
فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملات الارض فقال عليه
السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي
عليه السلام كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة ويروى ان شيبة
بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه
فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار
اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي عليه السلام فدعاني
فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب
الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي

واقيه

واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة
بن عمير اردت قتل النبي عليه السلام عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما
دنوت منه قال افضالة انت قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك
قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله
ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر
قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما
كلمه في ذلك قال والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه
افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به
وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه
الله حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه
السلام **فصل** ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف
والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته
وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد
انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة
بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة

كل فرقة من الكتابيتين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها
واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره الي الاحتوا على لغات العرب وغريب
الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها
وحكمها ومعاني اشعرها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال
الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم الغامض والتبيين المشكل الي تمهيد
قواعد الشرع الذي لايناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته علي
محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شي مستحسن مفضل لم ينكر
منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له
وكافر من الجاهلية به اذا سمع مايدعوا اليه صوبه واستحسنه دون
طلب اقامة برهان عليه ثم بما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات
والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون
المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك
من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة
واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل
طائر وقوله الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل
نفسه ورؤيا تحزين من الشياطين وقوله عليه السلام اذا تقارب

الزمان

الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة ومما روي عنه
في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها
واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم
عليه الدارقطني وقوله عليه السلام خير ما تداويتم به السعوط واللدود
والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة ولتسع عشرة واحدي
وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن آدم
وعاء شرا من بطن الي قوله فان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب
وثلث للنفس وقوله وقد سيل عن سبا ارجل هو او امراة او ارض
فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشام منهم اربعة الحديث
بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب
على شغلها بالنسب الي سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير
راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها و
جمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سوا
وقوله في حديث الذكروات الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون علي
اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع
الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة

او للاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه
اذكر للمملي مع هذا انه عليه السلام كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى
قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا
بسم الله الرحمن الرحيم رواه بن شعبان من طريق بن عباس
وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب
بين يديه عليه السلام فقال له الق الدوات وحرف القلم واقم البا
وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وان لم يصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق
علم هذا ويمنع الكتاب والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات العرب
وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه
سنه وهي حسنة بالحبشية وكقوله يكثر الهرج وهو القتل وقوله في
حديث ابي هريرة اشكنب دردم اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا
يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس
والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى
امي لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا
بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل

لشي

بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها
والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه عليه السلام
ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في
دفع ما قصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله
قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما
سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير
من القران وظهور ما لا ينعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم
وكان يقرا على النبي عليه السلام واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي
عليه السلام يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان
وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى
به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف
باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان وبلعام الرومي او يعيش او جبر
او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم
فهل حكي عن واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ

هل عجز واحد منهم عن
شيء من مثل ما كان يجيء به محمد عليه السلام

على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الي هذا فياخذ
عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر
بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي عليه السلام
عن قومه ولا كثرة اختلافاته الي بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد
منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعي في صغره وشبابه على عادة ابنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيه مكثه مدة
يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه
ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم واختلاف الي حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا
بعد كله لكان مجي ما اتي به من معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل شبهة ومجليا لكل امر فصل ومن خصايصه عليه السلام وكراماته
وباهر اياته انباؤه مع الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة وطاعة
الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو موليه الاية وقال اذ يوحي ربك الي الملايكة اني
معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني
ممدكم الايتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران
الاية حدثنا سفيان بن القاضي الفقيه بسماعي عليه حدثنا ابو

الليث

الليث السمرقندي قال ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا
ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله ابن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن
سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راي
من ايات ربه الكبري قال جبريل في صورته له ستمائة جناح
والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملايكة وما
شاهده من كثرتهم وعظيم صور بعضهم ليلة الاسرا مشهور وقد
راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فراي اصحابه
جبريل عليه السلام فى صورة رجل ليسئله عن الاسلام و
الايمان وراي ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة
دحية وراي سعد عن يمينه وليساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملايكة خيلها يوم بدر وبعضهم راي تطاير الرؤس من الكفار
ولا يرون الضارب وراي ابو سفيان بن الحرث يومئذ رجالا
بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شي وقد
كانت الملايكة تصافح عمران بن الحصين واري النبي عليه السلام
لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه وراي عبد الله بن مسعود
الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد

ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته
فكان النبي عليه السلام يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست
بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن
الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع النبي عليه السلام اذ اقبل شيخ بيده
عصا فسلم على النبي عليه السلام فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال
انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده
في حديث طويل وان النبي عليه السلام علمه سورا من القران وذكر
الواقدي قتل خالد عند هدمه للعزى للسوداء التي خرجت له ناشرة
شعرها عريانة فجذلها بسيفه واعلم النبي عليه السلام فقال له
تلك العزى قال عليه السلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله خاسئا وهذا
باب واسع **فصل** ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت
به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب من صفته وصفة
امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك
في اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة

وسفيان

وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وكعب بن لؤي وما ذكر عن سفيان
بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره عليه السلام زيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم
صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن
سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم
من علماء يهود وبحيرا ونسطور وصاحب بصرى ونصاري الحبشة
وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصاري
الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصاري
وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية ورئيساهم
ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله
الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تحصر
وقد قرع اسماع يهود والنصاري بما ذكر انه في كتبهم من صفته
وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم
بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة
على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدى ما الزمهم من كتبهم

اظهاره ولو وجد واخلاف قوله لكان

اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال
وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الي ما انذر به الكهان
مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران
وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز
وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الي ما اظهر على السنة الاصنام
من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح
النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي عليه السلام والشهادة
له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهود
واسلام من اسلم لسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر
من الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه
رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الي السما وما راته من
النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن
ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا
النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام
على يدي واستهل سمعت قايلا يقول رحمك الله واضا لي ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفه حليمة وزوجها ظيراه
من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه

وحسن

وحسن نشاته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى
وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف
عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا
ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب
يصبحون شعثا ويصبح عليه السلام صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن
حاضنته ما رايته عليه السلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا
ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع
وما نشا عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية
وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى ستره في الخبر المشهور عند
بنا الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض
حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال اني نهيت عن التعري
ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة
ونساها راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها
انه راى مثل ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رات
غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن
ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها واينعت هي واشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه

وميل في الشجرة اليه من الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر انه كان لا ظل لشخصه
في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده
ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته
ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان ما بين بيته ومنبره روضة من رياض
الجنة وتخييرالله له عند موته وما اشتمل عليه ﷺ حديث الوفاة
من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده ما رويناه في بعضها
واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله ونداهم
الذي سمعوه ان لا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية
الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من
كرامته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك
غير واحد بذريته **فصل** قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد
اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته
مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثيرة سوى ما ذكرنا
واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن
كثر الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره
مشاهير الائمة وحذفنا الاسانيد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب
هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة

ومعجزات نبينا اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها
وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا عليه السلام مثلها او ما هو
ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات
من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة
فهذا القران كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية
منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة
وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا
بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول
بسطه فاذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين
الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر
عشر كلمات فتجزى القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من
سبعة الاف جزء وكل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز آخر من
الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية الخبر
عن اشيا من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة

اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق
القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث
الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما
دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ مجموعها نحوا من هذا الوجه الثاني
وضوح معجزاته عليه السلام فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل
ازمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمان موسى غاية
علم اهل السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه
فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك
زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون
عليه واتاهم ما لم يحتسبوا من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص
دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم ان الله بعث
محمدا عليه السلام وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر
والخبر والكهانة فانزل عليه القران الخارق لهذه الاربعة فصول من
الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم
الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في
اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك

وصدقه

وصدقه وان كان اعدا العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب
عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من
الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي
بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى
الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة
بينة الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل
وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر
عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد
الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة في
اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين
وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم
وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع واياته
تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما اخبرني القاضي الشهيد
ابو علي حدثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحاق
وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله
ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي عليه السلام ما من الانبياء

نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجوا اني اكثرهم تابعا يوم القيمة
هذا معني الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله
وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة
نبينا عليه السلام الي معني اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما
لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات
الرسل قد رام المعاندون لها باشيا طمعوا في التخييل بها علي الضعفاء
كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل
فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من
هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر
ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه
والتاويل الاول اخلص وارضي وفي هذا التاويل الثاني ما يغض الجفن
عليه ويغضي ووجه ثالث علي مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة
كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او علي احد مذهبي اهل السنة من ان
الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن ذلك قبل ولا يكون
بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين
وعليهما جميعا فترك العرب للاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس

مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب
النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين
اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن
شي هو من جنس مقدورهم والي هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني
وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها
كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الي بال الناظر بدءا ان ذلك
من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الي ان
يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق مائين من السنين بكلام
من جنس كلامهم لياتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي علي
المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي اية
ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر اية
واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور
آيته علي سائر ايات الانبياء حتي احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب
وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم
من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم
لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز

عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد
ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار بقدر
غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي
هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها تعترف بالصانع
وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من امن بالله ووحده
من قبل الرسول بدليل عقله وصفا لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا
كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له
رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة
نبينا وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها
وبالله استعين

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه
السلام قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا قسم لخصنا
فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب
تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم

الصلوة

الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره عليه السلام **الباب الاول** في فرض
الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت
نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال
الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله الاية فالايمان بالنبي
محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم ايمان الاية ولا يصح اسلام الا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا ابو
الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء
بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا
اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له
وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك
شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق

والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد
في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال
النبي عليه السلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله الحديث فقد قرن الايمان به عليه السلام محتاج
الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه
الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان
دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك من اعتقادهم وتصديقهم
وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في
الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل
من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام
الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر

بما اظهروه من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا
امروا بالبحث عنها بل نهى النبي عليه السلام عن التحكم عليها وذم ذلك
فقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث
جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان
اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع
وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان
القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا الجنة لقوله عليه السلام
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى
ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو
الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهلة وعلم
ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة
فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من
جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن
عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع
العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذ تفضي
الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما
والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة واما

يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين
حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة
وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية
فيما قصدنا **فصل** واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه
فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول وقال واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه
فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن
طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء
العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة
الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من
رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال
وما اتيكم الرسول فخذوه الاية قال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول
في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله

بالشهادة

بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة **حدثنا** ابو محمد بن
عتاب بقراءتي عليه **ثنا** حاتم بن محمد **ثنا** ابو الحسن علي بن محمد بن خلف **ثنا**
محمد بن احمد **ثنا** محمد بن يوسف **ثنا** البخاري **ثنا** عبدان قال **اخبرنا**
عبد الله قال **انا** يونس عن الزهري قال **اني** ابو سلمة بن عبد الرحمن
انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد
اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله
اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وحكى
الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني
وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا
منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام كل امتي
يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت
الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة من قومه
فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم

فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت
به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر
في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب
الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم
ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد عليه السلام فمن اطاع محمدا
فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتدا بهديه فقد قال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد
وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله
واليوم الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء
به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من
المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى
بذلك ووعدهم الاهتدا باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق

يزكيهم

ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم
محبته في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح
اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك
الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله
فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وروي ان
الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه
ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة
العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امر ومحبة الله لهم
عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال ان الحب من الله عصمة
وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر
حبه هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته
منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه
وثنائه عليه وقال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح
كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول
الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا ابو الاصبغ

عيسى بن سهل ح و ثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه
قالا ثنا حاتم بن محمد قال ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الآجري
ثنا ابرهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رُشَيْد ثنا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي
وحُجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي
عليه السلام انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم
متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه وفي حديث
عائشة صنع رسول الله عليه السلام شيئا تَرَخَّصَ فيه فتنزه عنه
قوم فبلغ ذلك النبي عليه السلام فحمد الله تعالى ثم قال ما بال قوم يتنزهون
عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي
عنه عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو
الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن
تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا

يوتى

بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران
قال الله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه الآية وقال عليه السلام من اقتدى
بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي
عليه السلام انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي
محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال
النبي عليه السلام العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او
سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال قال
عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال
عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن
ابي هريرة عن النبي عليه السلام قال المتمسك بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا
على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها
في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه
اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيا سنتي فقد
احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي
عليه السلام قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد
اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص

من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان
عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا **فصل**
واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته
حدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن الفقيه سماعا عليه قال
ثنا ابو عمر الحافظ قال **ثنا** سعيد بن نصر **ثنا** قاسم بن اصبغ ووهب بن
ميسرة قال **ثنا** محمد بن وضاح **ثنا** يحيى بن يحيى **ثنا** مالك عن ابن شهاب
عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا
عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلوة الحضر في القران ولا نجد صلوة
السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا
فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله
عليه السلام وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله
واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا
تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن
انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله
ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا
عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر

بن الخطاب

بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا
يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله
وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول
الله عليه السلام يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال له
عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله عليه
السلام لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني
اعمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام ما استطعت وكان ابن مسعود
يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة
السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه
فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله
عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله
وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون
عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء
وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة
لصوصهم هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة

فتفاضت عيناه من خشية ربه ابيغضه الله ابدا
وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله في نفسه صح

فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق
فلا اصلحهم الله وعن عطا في قوله تعالى فان تنازعتم في شي فردوه الي
الله والرسول الي كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وقال الشافعي
ليس في سنة رسول الله عليه السلام الا اتباعها وقال عمر رضي
الله عنه ونظر الي الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني
رايت رسول الله عليه السلام يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورُئي عبد الله
بن عمر يدير ناقته في مكان فسُئل فقال لا ادري الا اني رايت رسول
الله عليه السلام فعله ففعلته قال ابو عثمان الحيري من امر السنة على
نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوي على نفسه نطق
بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتدا بالنبي
عليه السلام في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص
النية في جميع الاعمال وجا في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح
يرفعه انه الاقتدا برسول الله عليه السلام وحكي احمد بن حنبل
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث
من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر ولم اتجرد فرايت
تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك اماما يقتدي بك قلت من انت قال انا جبريل

فصل

فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد عليه من الله
بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان
تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولي الآية حدثنا ابو محمد
عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراتي عليهما قالا ثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسين القابسي ثنا ابو الحسن بن سرور
الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا
مالك عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله
عليه السلام خرج الي المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليُذادَنّ
رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم
فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروي انس
ان النبي عليه السلام قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل
في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وروي ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي
عليه السلام قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من
امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله
اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله عليه السلام
مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجي بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا

اوقال ضلالا ان يرغبوا عما جا به نبيهم الي غير نبيهم اوكتاب غير كتابهم
فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم الاية وقال عليه السلام هلك المتنطعو
وقال ابو بكر الصديق لست تاركا شيئا كان رسول الله عليه السلام
يعمل به الا عملت به اني اخشي ان تركت شيئا من امره ان ازيغ
الباب الثاني في لزوم محبته قال الله تعالي قل ان كان اباوكم
وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية
نكفي بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة علي الزام محبته ووجوب
فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع الله
من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله تعالي فتربصوا حتي ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية
واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ
فيما اجازنيه وهو مما قراته علي غير واحد قال ثنا سراج بن عبد الله
القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يعقوب بن ابرهيم ثنا ابن علية
عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله عليه السلام قال
لا يومن احدكم حتي اكون احب اليه من نفسه وماله من ولده
ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن انس عنه

عليه السلام

عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود
في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي عليه
السلام لانت احب الي من كل شي الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي عليه
السلام لن يومن احدكم حتي اكون احب اليه من نفسه فقال عمر
والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي عليه السلام الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول عليه في جميع الاحوال ويري نفسه في ملكه عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لان النبي عليه السلام قال لا يومن احدكم
حتي اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته حدثنا ابو
محمد بن عتاب بقراتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسماعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن
ابي الجعد عن انس ان رجلا اتي النبي عليه السلام فقال متي الساعة
يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كبير صلاة ولا
صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة هاجرت الي النبي عليه وسلم فاتيته فقلت

وقف لله

يارسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يارسول الله اني
احبك قال المرء مع من احبّ وروي هذا اللفظ عن النبي عليه السلام
عبد الله بن مسعود وابو موسي وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي ان
النبي عليه السلام اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحبّ هذين
واباهما وامّهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتي النبي
عليه السلام فقال يارسول الله لانت احبّ اليّ من اهلي ومالي واني
لاذكرك فما اصبر حتي اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك
فانزل الله تعالي ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي
عليه السلام ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي انت وامي
اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله
الاية وفي حديث انس رضي الله عنه عنه عليه السلام من احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي عن
السلف والائمة من محبتهم للنبي عليه السلام وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل عن ابيه

عن ابي هريرة ان رسول الله عليه السلام قال من اشد امتي لي حبا ناس
يكونون بعدي يودّ احدهم لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر
وتقدم حديث عمر وقوله للنبي عليه السلام لانت احبّ اليّ من نفسي
وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد
احبّ اليّ من رسول الله عليه السلام وعن عَبْدَة بنت خالد بن معدان
قالت ما كان خالد ياوي الي فراش الا وهو يذكر من شوقه الي رسول
الله عليه السلام والي اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم
ويقول هم اَصْلي وَفَصْلي واليهم يحنّ قلبي طال شوقي اليهم فعجّل ربّ
قبضي اليك حتي يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال للنبي عليه
السلام والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقرّ لعيني من اسلامه
يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقرّ لعينك ونحوه
عن عمر بن الخطاب قاله للعباس ان تسلم احبّ اليّ من ان يسلم
الخطاب لان ذلك احبّ الي رسول الله عليه السلام وعن ابن
اسحق ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد
مع رسول الله عليه السلام فقالت ما فعل رسول الله عليه السلام
قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت اَرِنيه حتي انظر اليه فلما راته قالت
كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رضي الله كيف كان حبكم

لرسول الله عليه السلام قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا
وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما، وعن زيد بن اسلم
خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا في الاسحار ياليت شعري والمنايا اطوار هل يجمعني
وحبيبي الدار تعني النبي عليه السلام فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول
وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس
اليك يزول عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت
امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه وروي
ان امراة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله
عليه السلام فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة
زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك
بالله يا زيد اتحب ان محمدا عندنا الان مكانك نضرب عنقه وانك
في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي
هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من
الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وعن ابن عباس كانت المراة
اذا اتت النبي عليه السلام حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج

ولا رغبة

ولا رغبة عنه بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله
ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له فقال كنت والله
ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله عليه السلام فصل في علامة
محبته عليه السلام اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم
يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي عليه
السلام من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال
سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه
والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا
قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما
شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله
تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا احمد
بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله
الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال

انس بن مالك قال قال لي رسول الله عليه السلام يا بني ان قدرت
ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك
من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة
فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله
عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يوتى به فقال
عليه السلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي
عليه السلام كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر من ذكره ومنها كثرة
شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين
عند قدومهم انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه ونقدم ... ومثله قال عمار قبل قتله
قول بلال وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة
ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع
سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي عليه السلام بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من
يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها
محبته لمن احب النبي ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من الانصار
والمهاجرين وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب

شيئا

شيئا احب من يحب وقال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم
اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من
احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني
ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن
اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها
وقال لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان
حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا
احب كل شي يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات
النفس وقد قال انس حين راى النبي عليه السلام يتتبع الدبا من حوالي
القصعة فما زلت احب الدبا من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله
بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما
كان يحب رسول الله عليه السلام وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي عليه السلام يفعل نحو ذلك ومنها
بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف

سنته وابتدع في دينه واستخف بكل امر يخالف شريعته قال الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم
في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك
براسه يعني اباه ومنها ان يحب القران الذي اتى به عليه السلام
وهدي به واهتدي وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان
خلقه القران وحبه للقران تلاوته وتفهمه والعمل به ويحب سنته
ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب
القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبي عليه السلام و
علامة حب النبي عليه السلام حب السنة وعلامة حب السنة
حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا
الا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسئل
احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله
ورسوله ومن علامة حب النبي عليه السلام شفقته على امته ونصحه
لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين
رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره
الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر

الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله
وفي حديث عبد الله بن مغفل قال قال رجل للنبي عليه السلام يا
رسول الله اني احبك قال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلث
مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث
ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي عليه السلام وحقيقتها
اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي عليه السلام و
كثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال
ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه
السلام كانه التفت الى قول الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية
وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته
والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر
للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب
وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب فيحب ما احب ويكره
ما اكره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل
الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه
كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة

اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له او لالتذاذه
بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين
والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة
فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هولاء حتى يبلغ التعصب بقوم
لقوم والتشيع من امة في اخرى ما يودي الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه
له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا
تقرر هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه
عليه السلام ~~فعلمت انه عليه السلام~~ جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة
للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا
منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه
على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رافته بهم
ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
به من النار وانه رؤف رحيم بالمؤمنين ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المومنين واي افضال اعم منفعة واكثر

فائدة

فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم
من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد
فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا
بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضة الاحسان
وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة
او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها
قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم
اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما
يؤثر من قوام طريقته او قاض بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب
واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من
راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة
انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه عليه السلام **فصل** في وجوب
مناصحته عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر

والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي عليه ثنا حسين بن محمد
ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود
ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح عن عطا بن يزيد
عن تميم الداري قال قال رسول الله عليه السلام ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم ولجبه قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة
كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر
عنها بكلمة عن واحدة يحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم
نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف
والنصح فعل الشي الذي به الصلاح والملاومة ماخوذ من النصاح وهو
الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله
صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عن ما لا
يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص في
عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته
والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل
الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته
وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر

وموازرته

وموازرته وحمايته ونصرته حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والذب عنها
ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحق
التجيبي نصيحة رسول الله عليه السلام التصديق بما جا به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى
رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله عليه السلام قال ابو بكر الاجري وغيره
والنصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي
حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع و
الطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله
الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال
وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته
ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف
عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف
اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة
احد ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام
ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان

ومشاهير الثوار المعروف بالصفاردي في النوم فقيل له ما فعل الله
بك قال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت في ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله عليه السلام
فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وامّا النصح لائمة
المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه
على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين
وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليه والنصح لعامة
المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم
وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم الباب الثالث
في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات
وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى
تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه
تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه

وقال

وفرقي تعززوه بزائين بالعزح

وقال الطبري تعينونه ونهي عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل
بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فانصتوا له واستمعوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا
بشيء في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه
به الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع
عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله
في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم
عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم
لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو
محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه
نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادي
به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين قال غيره لا تخاطبوه
الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك
وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا

النبي عليه السلام فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله
تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية
الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي عليه السلام
واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت
بن قيس بن شماس خطيب النبي عليه السلام في مفاخرة بني تميم
وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية اقام
في منزله وخشي ان يكون حبط عمله واتى النبي عليه السلام فقال
يا نبي الله قد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول
وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي عليه السلام يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي
ان ابا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك
بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار
ما كان يسمع رسول الله عليه السلام بعد هذه الآية حتى يستفهمه
فانزل الله فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في وفد بني تميم نادوه باسمه
وروى صفوان بن عسال بينا النبي عليه السلام في سفر اذ ناداه

اعرابي

اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض
من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في
الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي عليه السلام وتبجيلا له لان معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته
لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي
عليه السلام بالرعونة فنهي المسلمين عن قولها قطعا للذريعة ومنعا
للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا **فصل في عادة
الصحابة** في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله **حدثنا** القاضي
ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا **ثنا**
احمد بن عمر **ثنا** احمد بن الحسين **ثنا** محمد بن عيسى **ثنا** ابرهيم بن سفين
ثنا مسلم **ثنا** محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور
ثنا الضحاك بن مخلد انا حيوة بن شريح **حدثني** يزيد بن ابي حبيب عن
بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا
فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله عليه السلام
ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له
ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروي

الترمذي عن انس ان رسول الله عليه السلام كان يخرج على اصحابه
من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم
اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان
اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي عليه السلام
واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين
وجهته قريش عام القضية الى رسول الله عليه السلام ورأى من
تعظيم اصحابه له ما راى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا
يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا
بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا
امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت
كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت
ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا
قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه
ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله عليه السلام والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان يقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا

لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي عليه السلام
اليهم في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله عليه
السلام وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله عليه السلام قالوا
لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله عليه السلام هذا ممن
قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله عليه السلام جالسا
القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث
المغيرة كان اصحاب النبي عليه السلام يقرعون بابه بالاظافر
وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله عليه
السلام عن الامر فاؤخره سنين من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة
النبي عليه السلام بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال
حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع
اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته وياخذ في هيبته واجلاله
بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح

وائمتنا الماضين رضى الله عنهم حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد
بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد
فيما اجازونيه قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال
ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر بن محمد بن احمد بن الفرج ثنا
ابو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ثنا ابن حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله عليه السلام
فقال مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله عز
وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح
قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا عبد الله استقبل القبلة
وادعوا ام استقبل رسول الله عليه السلام قال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم
القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
الآية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد
الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه

كان

كان اذا ذكر النبي عليه السلام يتغير لونه ويتحنى حتى يصعب ذلك على
جلسائه فقيل له يوما فى ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما
ترون ولقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا يكاد
نسئله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن
محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي عليه السلام
اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله عليه السلام الا على طهارة
ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما
مصليا واما صامتا واما يقرء القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان
من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد
الرحمن بن القاسم يذكر النبي عليه السلام فينظر الى لونه كانه
نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فيه هيبة لرسول الله عليه
السلام ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده
النبي عليه السلام بكي حتى لا يبقى فى عينيه دموع ولقد رايت الزهري
وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر النبي عليه السلام فكانه
ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان
من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي عليه السلام بكي فلا يزال يبكي
حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان اذا سمع

بكي حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله النبي ع م كتبت عنه وقال مصعب
بن عبد الله كان مالك اذا ذكر
النبي ع م صح

الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له ولو
جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء
وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث النبي عليه السلام
امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول
انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل في تعظيم رواية حديث النبي عليه السلام وسننه في سيرة السلف حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا احمد بن
سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم
البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما
سمعته يقول قال رسول الله عليه السلام الا انه حدث يوما فجري
على لسانه قال رسول الله عليه السلام ثم علاه كرب حتى رايت العرق
يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا
او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وقال ابرهيم بن
عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس
على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله عليه السلام وانا قائم وقال

مالك

مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث رسول الله عليه السلام وهو
وانا مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعب فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله عليه السلام وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا
ذكر عنده حديث رسول الله عليه السلام خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا
له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله عليه السلام توضا
وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه
حديث رسول الله عليه السلام قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا
خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل
فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله
واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على
راسه رداءه ويلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا
يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله عليه السلام قال
غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله
عليه السلام وقال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب
ان اعظم حديث رسول الله عليه السلام ولا احدث به الا على
طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او هو قائم
او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله عليه السلام

وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء وكان
الاعمش اذا حدث على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على
طهارة ولا يقرا حديث النبي عليه السلام الا على وضوء وقال عبد
الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست
عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله
عليه السلام فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا عبد الله
لقد رايت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
عليه السلام وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق
فسالته عن حديث فانتهرني وقال كنت في عيني اجل من ان تسئل
عن حديث رسول الله عليه السلام ونحن نمشي وسأله جرير بن
عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه
قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن الغازي سال
مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا
ويزيدني حديثا وقال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان
الحديث الا وهما طاهران فصل ومن توقيره عليه السلام وبره
بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه عليه السلام وسلكه

السلف

السلف الصالح رضي الله عنه قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو
محمد بن العدل من كتابه وكتبت من اصله ثنا ابو الحسن المقرئ
الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر حدثني ابي ثنا
حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا
وكيع عن ابيه عن سعيد عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم
قال قال رسول الله عليه السلام انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا
لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال
عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي آل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة
آل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم
من النبي عليه السلام واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهما بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال هؤلاء اهل بيتي فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت
آية المباهلة دعا النبي عليه السلام عليا وحسنا وحسينا وفاطمة

وقال اللهم اهلي وقال النبي عليه السلام في علي من كنت مولاه فعلي
مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مومن
ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب
رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى عمي فقد اذاني وانما
عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم
وجللهم بملاءة وقال هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي اللهم فاسترهم
من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين
وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما
وقال ابو بكر ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده
لقرابة رسول الله عليه السلام احب الي من ان اصل من قرابتي وقال عليه السلام
احب الله من احب حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار
الي حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة
وقال عليه السلام من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا
قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام لام سلمة لا توذيني في
عايشة وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر وجعل الحسن في
عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي
عن عبد الله بن حسن بن حسن اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة

فقال

فقال اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله
ان راك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة ام ثم قربت
له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن
عم رسول الله عليه السلام هكذا يفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس
وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا عليه السلام ورأى ابن
عمر محمد بن اسامة بن زيد فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض
وقال راه رسول الله عليه السلام لاحبه وقال الاوزاعي دخلت
بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله عليه السلام على عمر بن عبد
العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها
حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها
على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها
ولما فوض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلث
الاف ولاسامة بن زيد في ثلثة الاف وخمسمائة قال عبد الله
لم فضلته فوالله ما سبقني الي مشهد فقال له لان زيدا كان احب
الي رسول الله عليه السلام من ابيك واسامة احب الي رسول الله
عليه السلام منك فاثرت حب رسول الله عليه السلام على حبي
وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله عليه السلام

فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقيل لابن عيينة
واوطئه المرعات لتشبهه صورة رسول الله عليه السلام وروي ان
مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل
مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت والقى النبي عليه السلام
فاستحيي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده
من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي
الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله عليه السلام وقال ابو بكر
بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابته
من رسول الله عليه السلام ولان اخر من السما الى الارض احب الي
من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي
عليه السلام فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال عليه السلام
اذا رايتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي عليه السلام
وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي عليه السلام ويقولان
كان رسول الله عليه السلام يزورها ولما وردت حليمة السعدية
على النبي عليه السلام بسط لها رداه وقضى حاجتها فلما مات وفدت
على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره وبره

عليه السلام

عليه السلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن
الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال
الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل عنهم
من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج
لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمض
عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما
وراء ذلك كما قال عليه السلام واذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله
تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم
الى آخر السورة وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الآية وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
وقال من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا
القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل ثنا ابو يعلي ثنا ابو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن الصباح ثنا سفيان
بن عيينة عن زائده عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة
قال رسول الله عليه السلام اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر
وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه

قال رسول الله عليه السلام مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذي الله ومن اذي الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوي النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد عليه السلام قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله

ومن احب

ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد فقد بريء من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي عليه السلام قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعلي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا يوهب في القيمة وقال رجل للمعافي بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي عليه السلام احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي عليه السلام بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي

كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض
ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك
رحمه الله هذا النبي عليه السلام مؤدب الخلق الذي هدانا الله به
وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم
كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي عليه السلام بحبهم وموالاتهم
ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس لاحد من اصحاب محمد عليه
السلام الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع
له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول عليه السلام من لم يوقر
اصحابه ولم يعز اوامره **فصل** ومن اعظامه واكباره اعظام جميع
اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت
كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت
الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها
عليه السلام بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من
شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها
شدة انكر عليه اصحاب رسول الله عليه السلام كثرة من قتل فيها
فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعر رسول الله عليه

السلام

السلام لئلا اسلب بركتها ويقع في ايدي المشركين وروي ابن عمر واضعا
يده على مقعد النبي عليه السلام من المنبر ثم وضعها على وجهه و
لهذا كان مالك رحمه الله لا يركب في المدينة دابة وكان يقول استحيي
من الله تعالى ان اطا تربة فيها رسول الله عليه السلام بحافر
دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له
الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد
الرحمن السلمي عن احمد بن فَضْلَوَيْه الزاهد وكان من الغزاة الرماة
انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي عليه
السلام اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية
بضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه
الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله عليه السلام يزعم انها
غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من احدث
فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرف ولا عدل وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ
قضيب النبي عليه السلام من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله
ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري

كاذبا فليتبوء مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري
لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا
ولما راينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا
وحكي بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام
انشاء يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام
وانا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرحال حرام قد قربننا
من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام وحكي عن بعض
المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق ياتي الى
بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وجدير لمواطن عمرت بالوحي
والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح
وضجت عرصاتها بالتسبيح والتقديس واشتملت تربتها على جسد سيد البشر
وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات
ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين
والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومتبوا خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها

ومواطن

ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان
تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها شعر يا
دار خير المرسلين ومن به هدي الانام وخص بالايات عندي
لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات وعلي عهد ان
ملأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصات لاعفرن مصون
شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات لولا العوادي والاعادي
زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات لكن ساهدي من حفيل
تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات ازكى من المسك المفتق
نفحة تغشاه بالاصال والبكرات وتخصه بزواكي الصلوات
ونوامي التسليم والبركات **الباب الرابع** في حكم الصلاة عليه
والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته
يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له
قال المبرد واصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة
واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملائكة
على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء
وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي عليه السلام رحمة

وللنبي تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند
الملئكة وصلاة الملئكة الدعاء وقال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
وقد فرق النبي عليه السلام في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة
ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله به
عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام
فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا على النبي عليه السلام وكذلك
من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي عليه السلام عند حضورهم قبره
وعند ذكره وفي معنى السلام عليه السلام ثلثة وجوه احدها السلامة
لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام
على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله
تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبي عليه
السلام فرض على الجملة غير محدود بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه
وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر
الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعي فيه الاجماع ولعله
فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض

الواو

مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن
الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عند
اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي
بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير
افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل
عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي عليه السلام
واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك
واصحابه وغيرهم من اهل العلم الى ان الصلوة على النبي عليه السلام فرض
بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة
من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي
امر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها
فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكي الامامان ابو جعفر
الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين
من علماء الامة على ان الصلوة على النبي عليه السلام في التشهد غير
واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي عليه السلام
من بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه

قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في
انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه
الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر
يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا فيها صلى على النبي عليه السلام فان ترك
ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري
واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن
مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد الاخير مسيء
وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحق
الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكي ابو محمد بن ابو زيد عن محمد
بن المواز ان الصلوة على النبي عليه السلام فريضة قال ابو محمد يريد
ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى بن
القصار وعبد الوهاب ان محمد ابن المواز يراها فريضة في الصلاة
كقول الشافعي وقد خالف الخطابي وغيره من اصحاب الشافعي في هذه
المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعي في هذا ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فرض
الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع
الناس عليه في هذه المسئلة جدا وهذا التشهد بن مسعود الذي اختاره

الشافعي

الشافعي ليس فيه الصلاة على النبي عليه السلام وهو الذي علمه له النبي
عليه السلام كابي هريرة وبن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد
الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير وكذلك كل من
راي التشهد عن النبي عليه السلام يذكروا فيه صلاة على النبي عليه السلام
وقد قال بن عباس وجابر كان النبي عليه السلام يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال بن عمر كان
ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال
بن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل
الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن بن مسعود
عن النبي عليه السلام من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي
لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي
بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي عليه السلام ولا
على اهل بيته لرايت انها لا تتم. **فصل** في المواطن التي يستحب فيها
الصلاة والسلام على النبي عليه السلام ورغب من ذلك في تشهد الصلاة
كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء **حدثنا** القاضي ابو علي
رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال **ثنا** الامام ابو القاسم البلخي قال

حدثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن ابي الهيثم عن ابي عيسى الحافظ
قال ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن زيد المقرئ ثنا حيوة بن
شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه
سمع فضالة بن عبيد يقول سمع رسول الله عليه السلام رجلا يدعوا
في صلاته فلم يصل على النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام عجل
هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء
عليه ثم ليصل على النبي عليه السلام ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من
غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء
والصلاة معلق بين السماء ولا يصعد الى الله منه شي حتى يصلى
على النبي عليه السلام وعن علي عن النبي عليه السلام بمسئلة ثم ليسئل
فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله عليه السلام
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه
فان احتاج الى شراب شربه او لوضوء توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني
في اول الدعاء واوسطه واخره وقال بن عطاء للدعاء اركان
واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق
اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح
فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخضوع والخشوع وتعلق

القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار
واسبابه الصلوة على النبي عليه السلام وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
على لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت
الصلاة على صعد الدعاء وفي دعاء بن عباس الذي رواه عنه خشتي
فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدا بالصلاة على النبي عليه السلام فتقول اللهم انى اسئلك
ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد
من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع
اسمه او كتابته او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي عليه السلام عند
الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه
الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله
محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية
له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة على النبي عليه
السلام فيه استينانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي
عليه السلام الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن
الصلاة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي

لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي عليه السلام وعلى آله ويترحم عليه
وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر
لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احدٌ فقل السلام على
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال بن عباس المراد
بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل
السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد
ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج بن شعبان
لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله عليه السلام ان النبي
عليه السلام كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو
بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على
الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة

التي

التي مضى عليها عمل الائمة ولم ينكرها الصلاة على النبي وآله في الرسائل
وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عن
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم
به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على
النبي عليه السلام التشهد في الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن
ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد
قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن
مسعود عن النبي عليه السلام قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات
لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها
اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم
عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن بن عمر انه كان
يقول كان اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط
ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن
عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك

ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد
صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في
المجموعة واجب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم
فصل في كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر
الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن عتاب
ثنا ابو بكر بن واقد وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن
يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو
بن سُلَيم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا
يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته
كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي بن
مسعود الانصاري رضي الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابرهيم
في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب
بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك

على محمد

على محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة
بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد
وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو
علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا اخبرنا ابو عبد الله
بن سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر المطوعي قال ثنا ابو عبد الله
الحاكم عن ابي بكرة بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي
عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن
زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه
علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله
عليه السلام وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند
رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد

كما سلمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي عليه السلام من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفي اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي
وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على
ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري قالت
رسول الله عليه السلام كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة
على النبي عليه السلام اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحيتك على محمد
عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق
بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك لطاعتك
مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على
نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الاء الله تصل باهله اسبابه
به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وانهج موضحات
الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون
المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
نعمة

نعمة ورسولك بالحق رحمة   اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول
وجزيل عطائك المعلول   اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم
مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
وعنه ايضا في الصلاة على النبي عليه السلام ان الله وملئكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لبيك اللهم ربي
وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملئكة المقربين والنبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شي يا رب العالمين
على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين
ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج
المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد
مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد

مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفي
من حوض المصطفي فليقل اللهم صل علي محمد وعلي اله واصحابه واولاده
وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه
وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاووس عن
بن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبري وارفع
درجته العليا واته سوله في الاخرة والاولي كما اتيت ابرهيم
وموسي وعيسي وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه
اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما
سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسئول له
الي يوم القيمة وعن بن مسعود انه كان يقول اذا صليتم علي النبي
عليه السلام فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض
عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك علي سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل علي محمد وعلي ال محمد
كما صليت علي ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك علي محمد وعلي
ال محمد كما باركت علي ابرهيم انك حميد مجيد وما يوثر في تطويل

الصلاة

الصلاة وتكثير الثناء عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما
قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين وفي
تشهد علي السلام علي نبي الله السلام علي انبياء الله ورسله السلام
علي رسول الله السلام علي محمد بن عبد الله السلام علينا وعلي المومنين
والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولد وارحمها السلام علينا
وعلي عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جاء في الحديث عن علي الدعاء للنبي عليه السلام بالغفران وفي
حديث الصلاة عليه ايضا قبل الدعاء له ايضا بالرحمة ولم يات في
غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر
وغيره الي انه لا يدعي للنبي عليه السلام بالرحمة وانما يدعي له بالصلاة والبركة
التي تختص به ويدعي لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي
زيد في الصلاة علي النبي عليه السلام اللهم ارحم محمدا وال محمد
كما رحمت علي ابرهيم وعلي ال ابرهيم ولم تات هذه في صحيح وحجته
قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته **فصل**
في فضيلة الصلاة علي النبي عليه السلام والتسليم عليه والدعاء له **حدثنا**

احمد بن محمد بن الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن سمعت
ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي ثنا سويد بن نصر ثنا عبد الله
بن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن
بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول
الله عليه السلام يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا
علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون
انا هو فمن سئل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن
مالك رضي الله عنه ان النبي عليه السلام قال من صلى علي صلاة
صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر
درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس رضي الله عنه
عن النبي عليه السلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة
صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن
بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبرائيل عليه السلام فقال اني
ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك
صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان
وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب قال سمعت النبي

عليه السلام

عليه السلام يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك
يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم
القيمة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي عليه السلام يقول من صلى
علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل ذلك او ليكثر
وعن ابي بن كعب كان النبي عليه السلام اذا ذهب ربع الليل قام فقال
يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت
بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل
لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت
فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال
الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال يا رسول الله
فاجعل صلاتي كلها لك قال اذن تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة
دخلت على النبي عليه السلام فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط
فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من
ربي ان الله بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي
عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله

رضي الله عنهما قال قال النبي عليه السلام من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمود الذي وعدته حلت له الشفاعة
يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال من قال حين
يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا
غفر له وروي بن وهب ان النبي عليه السلام قال من سلم علي عشرا فكانما
اعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي اقوام لا اعرفهم الا بكثرة
صلاتهم علي وفي اخرى ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها
اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصلاة على النبي عليه السلام امحق [للذنوب]
من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب **فصل**
في ذم من لم يصل على النبي عليه السلام واثمه **حدثنا** القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله **ثنا** ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي
قالا **ثنا** ابو يعلى **ثنا** السنجي **ثنا** محمد بن محبوب **ثنا** ابو عيسى **ثنا** احمد بن
ابرهيم الدورقي **ثنا** ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن [سعيد]
بن سعد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضا[ن]

ثم انسلخ

ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم
يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث آخر ان
النبي عليه السلام صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد
فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتاني
فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار
فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فمن ادرك رمضان فلم يقبل
منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات [مثله]
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عليه السلام انه قال البخيل
الذي ذكر عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال
رسول الله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطى به طريق
الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله عليه السلام قال ان
البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال
ابو القاسم عليه السلام ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان
يذكروا الله ويصلوا على النبي عليه السلام كانت عليهم من الله ترة ان
شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة
علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء
ان اذكر عند الرجل فلا يصل علي وعن جابر عنه عليه السلام قال

ماجلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه على غير صلاة على النبي عليه السلام
الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي عليه السلام
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي عليه السلام الا كان
عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى ابو عيسى
الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي عليه السلام
مرة في المجلس اجزا عنه ما كان في ذلك المجلس **فصل في تخصيصه**
عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام **حدثنا**
القاضي ابو عبد الله التميمي **ثنا** الحسين بن محمد **ثنا** ابو عمر الحافظ
ثنا بن عبد المؤمن **ثنا** بن داسة **ثنا** ابو داود **ثنا** بن عوف **ثنا**
المقرى **ثنا** حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله
بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله عليه السلام قال ما من احد
يسلم علي الا رد الله روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي
شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي
عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا ابلغته وعن بن مسعود ان
لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه
عن ابي هريرة وعن بن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة
فانه يؤتى به منكم كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي

الا

الا عرضت صلاته علي حتى يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام
حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن بن عباس ليس احد
من امة محمد عليه السلام يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر
بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي عليه السلام عرض عليه اسمه وعن
وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي عليه السلام
فان رسول الله عليه السلام لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم
قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان
بن سحيم رايت النبي عليه السلام في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء
الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم
وعن بن شهاب قال بلغنا ان رسول الله عليه السلام قال اكثروا علي
من الصلاة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان
الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها
ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا
فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي عليه السلام وعلى الانبياء
عليهم السلام قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه عامة
اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي عليه السلام وروي
بن عباس انه لا يجوز الصلاة على غير النبي عليه السلام وروي عنه

لاينبغي على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي
ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لايجوز ان يصلى على
احد من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا غير معروف من مذهبه
وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء
ولاينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله
ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث بن عمر وبما
جاء في حديث تعليم النبي عليه السلام الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه
وعلى اهله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران القابسي روي عن بن
عباس كراهة الصلوة على غير النبي عليه السلام قال وبه يقول ولم
يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله عليه السلام صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم
كما بعثني قالوا والاسانيد عن بن عباس لينة والصلوة في لسان العرب
بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح
او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية وقال
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الاية وقال النبي عليه السلام
اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم

صل

وقف لله

صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه
وذريته وفي آخره وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل آل بيته
وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم
الصدقة وفي رواية انس سئل النبي عليه السلام من آل محمد فقال
كل تقي ويجي على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان
يقول اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه
كان لايخل بالفرض ويأتي بالتنفل لان الفرض الذي امرنا به هو الصلوة
على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا
من مزامير آل داود يريد مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي
في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث بن
عمر انه كان يصلي على النبي عليه السلام وعلى ابي بكر وعمر وروى
بن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول
اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفين
رحمهما الله وروي عن بن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين انه لايصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص

ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر صح

به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه
والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي
عليه السلام وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما
امر الله تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من
الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال الذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال
ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة
فشاركوهم عند الذكر بالصلوة وساووهم بالنبي عليه السلام في ذلك
وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي عليه السلام
بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص وصلاة النبي عليه السلام
على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض
وهذا اختيار الامام ابو المظفر الاسفرايني من شيوخنا وبه قال ابو
عمر بن عبد البر **فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام** وفضيلة

من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام
سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر
قال النبي عليه السلام من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة
محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر
من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال
زرنا قبر النبي عليه السلام وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة
الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا
يرده عليه السلام نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار
قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل ذلك لما قيل ان الزائر افضل من
المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس
عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا
اللفظ في حقه والاولى عندي ان منعه قال ابو عمران انما كره ان يقال
طواف الزيارة وزرنا قبر النبي عليه السلام لاستعمال الناس ذلك
بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي عليه السلام مع الناس بهذا
اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبي عليه السلام وايضا
فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره عليه السلام

يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد وكراهة مالك له
لاضافته الى قبر النبي عليه السلام وانه لو قال زرنا النبي عليه السلام
لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة
هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما
للباب والله اعلم قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان
من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول الله عليه
وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس
يديه وموطي قدميه والعود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل
بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين
والاعتبار بذلك كله وقال بن ابي فديك سمعت بعض من ادركت
يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي عليه السلام فتلا هذه الاية
ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت
على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت
المدينة سترى قبر النبي عليه السلام فاقرءه مني السلام قال غيره

وكان

وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك
اتى قبر النبي عليه السلام فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه
افتتح الصلوة فسلم على النبي عليه السلام ثم انصرف وقال مالك
في رواية بن وهب اذا سلم على النبي عليه السلام ودعا يقف ووجهه
الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند قبر النبي عليه السلام يدعوا ولكن يسلم ويمضي
قال بن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي عليه السلام فليجعل
القنديل الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان بن عمر
يسلم على القبر رايته مائة مرة او اكثر يجي الى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على ابي بكر السلام على عمر ثم ينصرف وفي الموطا
من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي عليه
السلام فيصلي على النبي عليه السلام وعلى ابي بكر وعمر وعند بن القاسم
والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية بن وهب يقول
المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط
ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي
انه يدعو للنبي عليه السلام بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر
كما جا في حديث بن عمر من الخلاف وقال بن حبيب ويقول اذا دخل

مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا
وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى
الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك
بالقبر تحمد الله فيهما وتسئله تمام ما خرجت اليه والعون عليه
وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزتاك وفي الروضة افضل
وقد قال عليه السلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما
واكثر من الصلوة في مسجد النبي عليه السلام بالليل والنهار ولا تدع
ان تاتي مسجد قبا وقبور الشهدا، قال مالك في كتاب محمد ويسلم
على النبي اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد
واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى بن وهب عن فاطمة بنت النبي عليه السلام ان النبي عليه
السلام قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي عليه السلام وقل اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان
فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسئلك من فضلك وفي اخرى

وفي رواية ابواب رحمتك واذا خرج فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي و

اللهم

الرجيم
اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
اذا دخلوا المسجد صلى الله وملئكته على محمد السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي عليه السلام
اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة
قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي عليه السلام وذكر
مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان النبي عليه السلام اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك
ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل
على النبي عليه السلام وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط
وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف
بالقبر وانما ذلك للغربا، وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر
او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي عليه السلام فيصلي عليه ويدعو له
ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من
سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا
في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه

ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم
يبلغني عن هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا
لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا
خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي
ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة
مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد
الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده
طويلا وفي العتبية يبدؤا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي عليه السلام
واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي عليه السلام حيث العمود المخلق
واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب
الي من التنفل في البيوت **فصل فيما يلزم** من دخل مسجد النبي عليه
السلام من الادب سوى ما قدمناه من فضله وفضل الصلاة
فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه
وروي ان النبي عليه السلام سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا

وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم
وعن ابن عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي
عليه قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد
بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا
سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي
عليه السلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على
النبي عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان النبي
عليه السلام كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله
سمع عمر بن الخطاب صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت
قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا
لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد
برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي
رضي الله عنه حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل
مسجد النبي عليه السلام والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد
هذا الحكم قال القاضي اسمعيل قال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في المسجد

رسول الله عليه السلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما تختص به المساجد رفع الصوت فقد كره رفع الصوت بالتلبية
في المساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه
السلام صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد
الحرام قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف الناس
في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة
فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة
اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد رسول الله عليه
السلام افضل من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد
الحرام فان الصلاة في مسجد النبي عليه السلام افضل من الصلاة
فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في
المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد
النبي عليه السلام بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة
على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر
المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء
وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي
وحملوا الاستثناء في الحديث المقدم على ظاهره وان الصلاة في المسجد

الحرام

الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي عليه السلام
بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة
في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة
في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف
ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد
الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد
ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل
انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في
النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان
وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا
نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث
آخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان
احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما
بينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول
زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري
واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف

لان قبره في حجرته وهو في بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل
انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك
منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة
يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض
الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة
فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني
ان تلك البقعة قد ينقلها الله فيكون في الجنة بعينها قاله الماوردي
وروى بن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي عليه السلام قال في
المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او
شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها
وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه
وروي عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا
بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث
من الامنين يوم القيمة وعن بن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا الى قوله امنا وقال بعض المفسرين امنا

من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا ولجا الى البيت في الجاهلية
وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم
وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة
قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن
فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه
ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على
النار ولما نظر رسول الله عليه السلام الى الكعبة قال مرحبا بك من
بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام
ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين قال الفقيه القاضي
رضي الله عنه قرات على الفقيه القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله
حدثك ابو العباس العذري قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد
الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن
بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت
سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت بن عباس
يقول سمعت رسول الله عليه السلام يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم

الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من رسول الله عليه السلام الا استجيب لي وقال عمرو
بن دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس
الا استجيب وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال
ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة
وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب
لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي
اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة
استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله عنه ذكرنا نبذا من هذه النكتة في هذا
الفصل وان لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله
حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه
وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل الاية
وقال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي الاية فمحمد عليه السلام وسائر الانبياء من البشر ولو
لا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال
الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة
البشر الذي يمكنهم مخالطتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته
ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة
الله ارسال الملك الا لمن يكون من جنسه او من خصه الله واصطفاه
وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه
يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه
من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم
واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئة عليها

مايطرئ علي البشر من الاعراض والاسقام والموت والفنا ونعوت
الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلي من اوصاف البشر متعلقة
بالملاء الاعلي متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات
لايلحقها غالبا عجز البشرية ولاضعف الانسانية اذ لوكانت بواطنهم خالصة
للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخا
طبتهم ومخالتهم كما لايطيقه غيرهم من البشر ولوكانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما
اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله
تعالي فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام لوكنت متخذا من امتي
خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم
خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولاينام قلبي وقال اني لست
كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات
مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها
كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ماناتي به بعد هذا
في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الاول فيما يختص**
به بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله

عليهم

قال الشهاب في شرح الشفا لايصيب الانبياء عليهم السلام الامراض المنفرة وهو ما يفسخ به النكاح كالبرص والجذام والعمى واما ما اصاب ايوب ويعقوب عليهما السلام فلم يكن من ذلك ويعقوب انما ضعف بصره وقيل ان بعضها يطرؤ عليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتداء الدعوى والحق انها لاتطرؤ عليهم اصلا وقال الوانى في العرايس في مجلس شعيب عليه السلام جاز العمى على الانبياء عليهم السلام عند اهل السنة خلافا للمعتزلة وسند الطريقين في العرايس وترجيح الشهاب ما رجح للاحتياط

عليهم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان الطوارئ من التغيرات
والآفات على احاد البشر لاتخلو ان تطرا على جسمه او على حواسه
بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرا بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم
المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل
بالجوارح وجميع البشر تطرا عليهم الآفات والتغييرات بالاختيار
وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي عليه السلام وان كان
من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير
من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه
انشاء الله فيما ناتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب النبي
من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه
بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه
فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشئ
من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين فيه ولا يصح بالبراهين
الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم

في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك
المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم
الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابرهيم انما اراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسوال ذلك من ربه ويكون قوله
اولم تومن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه
الثالث انه سال زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول
شك اذ العلوم الضرورية والنظرية فقد يتفاضل في قوتها وطريان
الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال
من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين
وليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال كشف غطاء
العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج
على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه
عيانا الوجه الخامس قول بعض هو سوال على طريق الادب المراد اقدرني
على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي من هذه الامنية الوجه السادس
انه اري من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول
نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم
شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون

بالبعث

بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على
طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق
التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله او زيادة
يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر ثبتك الله قلبك
ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره
من اثبات شك النبي عليه السلام فيما اوحي اليه وانه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي عليه
السلام ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي
عليه السلام قال ما اشك ولا اسئل وعامة المفسرين على هذا و
اختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الآية
قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله تعالى قل يا ايها
الناس ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير
النبي كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره و
مثله فلا تك في مرية مما يعبد هولاء ونظيره كثير كما قال بكر بن العلاء
الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام
كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن يكذب به فهذا كله يدل على

ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله تعالى الرحمن فسئل
به خبيرا المامور ههنا غير النبي عليه السلام ليسئل النبي عليه
السلام والنبي عليه السلام هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل
وقال ان هذا الشك الذي أمر غير النبي عليه السلام بسؤال الذين
يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما دعي
اليه من التوحيد و الشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي عليه
السلام قاله القتيبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف
الخافض وتم الكلام ثم ابتدا الكلام اجعلنا من دون الرحمن الي
اخر الآية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي
عليه السلام ان يسئل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك وكان اشد
يقينا من ان يحتاج الي السؤال فروي انه قال لا اسئل قد اكتفيت
قاله ابن زيد وقيل اسئل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد
وهو معنى قول مجاهد و السدي و الضحاك وقتادة و المراد بهذا
والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم ياذن في
عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما
نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم

الكتاب

الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في
علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر
في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد
في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية افغير الله ابتغي
حكما الآية وان النبي يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم الله انه لم يقل
وقيل معناه ما كنت في شك فسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك
ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسئلهم
عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد
ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى
اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى
في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك
الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم
النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في كذبوا
عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي
وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح
فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء

نكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة وبدء الوحي من قوله
لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه من الله
بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا يحمل قوته مقاومة الملك
واعباء الوحي لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح
انه قال بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام
الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم
عليه الحجر والشجر وبداته المنامات والتباشير كما روي في بعض
طرق هذا الحديث ان ذلك اولا في المنام ثم اري في اليقظة
مثل ذلك تانيسا له عليه السلام لئلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة
فلا يحتمله لاول حاله بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة رضي
الله عنها اول ما بدئ به رسول الله عليه السلام من الوحي الرؤيا
الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو
في غار حراء الحديث وعن بن عباس مكث النبي عليه السلام
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويري الضوء سبع سنين ولا
يري شيئا وثمان سنين يوحي اليه وقد روي بن اسحق عن بعضهم
ان النبي عليه السلام قال وذكر جواره بغار حرا قال فجاءني وانا نائم
فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه

اقرا باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت
في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني
قريش بهذا ابدا لاعمدن الي حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه
فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل في صورة
رجل وذكر الحديث فقد تبين في هذا ان قوله لما قال لخديجة
وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل اعلام
الله له بالنبوة واظهاره اصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو
بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي
سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا الامر ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي عليه السلام قال لخديجة اني لاسمع صوتا
واري ضوءا واخشي ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله
في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم
منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل
لقاء الملك له واعلام الله له انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ
لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله له ولقائه الملك فلا يصح فيه
ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روي بن اسحق عن بعض

شيوخه ان رسول الله عليه السلام كان يرقى بمكة من العين قبل
ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه
فقالت له خديجة اوجّه اليك من يرقيك قال اما الان فلا
وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث
انما ذلك في حق خديجة ليتحقق صحة نبوة رسول الله عليه السلام
وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها الا انها فعلت ذلك
للنبي عليه السلام وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث
عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة
ان ورقة امر خديجة ان تختبر ... الامر بذلك وفي حديث
اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله عليه السلام يا ابن عمي
هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل
اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقال
ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عمي فاثبت وابشر وامنت به فهذا
يدل على انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي عليه
السلام وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي عليه السلام فيما
بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال لا
يقدح في هذا الاصل لقول معمر فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته

ولامن

ولا من حدث به ولا ان النبي عليه السلام قاله ولا يعرف مثل هذا
الا من جهة النبي عليه السلام مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر
كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما
قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا ويصحح معنى هذا التاويل حديث رواه عن عبد الله بن محمد
بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار
الندوة للتشاور في شان النبي عليه السلام واتفق رايهم
على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر
فيها واتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او انه خاف
ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه
ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس
عليه السلام خشية تكذيب قومه له بما وعدهم به من العذاب وقول
الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه
قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه
وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال
بن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن

قوله باخع اي ذابح نفسك ومهلكها غيظا [illegible]

قوله تزمل اي تلفف وقوله تدثر اي تلفف بالدثار وهو ما يلبس فوق الثياب هـ

من القدر بسكون الدال لا من القدرة هـ

بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول بن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين
فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه
كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه
الي امر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوي
عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن بن عباس
ان ارسال يونس ونبوته انما كانت بعد ان نبذه الحوت واستدل
من الآية بقوله تعالي فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة
من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون الآية ويستدل ايضا
بقوله تعالي ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادي وذكر القصة ثم قال فاجتبيه
ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القضية اذا قبل نبوته فان قيل
فما معني قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة
وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون
هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين
في هذا ما يتغشي القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء
وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شي يغشي القلب لا يغطيه

فرق بيان ان يغطي وبين ان يغطيه
رهو الماتن بالغيم وران البينة

كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك
لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين
في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات
وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا اشارة
الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان عليه السلام دفع اليه من مقاسات
البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو
ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة
وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان عليه
السلام ارفع الخلق عند الله تعالي مكانة واعلاهم درجة واتمهم
به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه
واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راي عليه السلام
حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا
من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولي وجوه الحديث واشهرها
والي معني ما اشرنا به اليه مال جماعة من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد [illegible] محياه
وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق

البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبي عليه السلام عن هذا اجلالا واجلوه عن ان يجوز
عليه في حال امره سهو او فترة الى معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم
فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين ههنا على قلبه السكينة التي
تغشاه كقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء
استغفاره وفعله هذا تعريفا للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره
وليستشعروا الحذر ولا يركنوا الى الامن وقد يحتمل ان تكون
هذه الاغانة حالة خشية واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ
شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون
عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق
هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر
من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد
عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك
ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال

فى آية

في آية نبينا لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى
وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك
الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز
على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات
الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في آية منها دليل على كونهم على
تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها
فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل
هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله
ان يسأله عما طوي عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك
ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا في الآية الاخرى
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي
فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير
فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان
قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من
ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان فعله

وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشاء
الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله
واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه عليه السلام ان لا
يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب
او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطع الكافرين لكن يسّر الله امره
بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه
السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوي قلبه بقوله تعالى والله
يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا انني معكما لتشتد
بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية
وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل
هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان
تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره بلا شك كما قال ان تطيعوا الذين

كفروا

كفروا الآية وقوله ان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن
عملك وما اشبهه فالمراد به غيره وان هذه حال من اشرك
والنبي عليه السلام لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع
الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره
بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان
طردهم ولا كان عليه السلام من الظالمين **فصل** واما
عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء
بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد
والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا
ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف
بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم
بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا
قد رمت نبينا بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها
واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد

قف
[illegible] عصمتهم [illegible] الاجماع على عصمة
الانبياء من الكذب عمدا [illegible]
الا عصمتهم منه سهوا . واما [illegible]
فانهم معصومون عن الكذب قبل الوحي [illegible]
اجماعا وعن الكبائر عند الجمهور [illegible]
عنهم سهوا . واما الصغائر [illegible]
[illegible]
الوحي [illegible] اهـ

[illegible]

فى شئ من ذلك تغيير الواحد منهم برفضه الهته وتقريعه بذمه
بترك ماكان قد جاءهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين
وبتلونه فى معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد
قبل افظع واقطع فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن ترك الهتهم وما
كان يعبد اباؤهم من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه دليل على
انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم
يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها
كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضى القشيرى على تنزيههم عن
هذا بقوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه
قال فطهره الله فى الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه
ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور
ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد
هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا
واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله
وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدا ولا يشتبه عليك
بقول ابرهيم فى الكوكب والقمر والشمس هذا ربى فانه قد قيل كان

هذا

هذا فى سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك
مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد
الانكار والمراد افهذا ربى قال الزجاج قوله هذا ربى اى على قولكم
كما قال اين شركائى اى عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك
ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله عنه اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم
الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب
سليم اى من الشرك وقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام فان قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين قيل انه
ان لم يؤيدنى بمعونته اكن مثلكم فى ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق
والحذر والا فهو معصوم فى الازل من الضلال فان قلت فما معنى
قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
فى ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
فى ملتكم بعد اذ نجينا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وانها
تقتضى انهم يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتى هذه اللفظة
فى كلام العرب لغير ما له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء فى حديث الجهنميين

فعادوا حُمَمًا ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر تلك المحارم لا قعبان
من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ ابوالا وماكانا قبل ذلك فان قلت
فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال
الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري
وقيل وجدك بين اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان
والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان عليه
السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى الله تعالى ويتشرع
به حتى هداه الله تعالى الى الاسلام قاله القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه
وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال
ابن عباس لم يكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك
بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك
ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ
الحسن بن علي ووجدك ضالٌ فهُدي اي اهتدى بك وقال ابن عطاء
ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك
القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك

في نبي الله

في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنريها في ضلال مبين اي محبة
بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك
لبيانه كقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر الآية وقيل وجدك لم يعرفك
احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين
فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله
فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا
بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين وقد
قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى
ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت
تدري قبل الوحي ان تقرأ القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان
وقال بكر القاضي نحوه وقال ولا الايمان الذي هو الفرائض ولا الاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض
التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا بتوحيده وهو احسن وجوهه
فان قلت فما معنى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم
انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد
الهروي ان معنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا
بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده

عن جابر ان النبي عليه السلام قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم
فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه
فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم
بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع او شبيه
بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان بن ابي شيبة وهم في
اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه
والمعروف عن النبي عليه السلام خلافه عند اهل العلم بقوله بغضت الي
الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حين كلمه
عمه واله في حضور بعض اعيادهم وقد عزموا عليه فيه بعد كراهيته
لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل
لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد عيدا
وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي عليه السلام باللات والعزى
اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي عليه السلام لا تسئلني
بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله
الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف
من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته

يخالف

يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة
لانه كان موقف ابرهيم عليه السلام **فصل** قال الفقيه القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في
التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما
ما عدا هذا الباب فجماعها انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها
قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه
ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد
قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب
ما ينبيك على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف
فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا تشترط في حق الانبياء العصمة
من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي
عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر
الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل
الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة
هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني انشاء الله تعالى و
لكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي
الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا

وقلّدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم
وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء
وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما
ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به
ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عقده بذلك
عن وحي من الله فهو لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده
فيما لم ينزل عليه فيه شي على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في
ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما
اقضي بينكم برايي فيما لم ينزل علي فيه اخرجه الثقات وكقصة
اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا ما
يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي
لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطا في
الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي عليه
السلام من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في
تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي عليه السلام

واجتهاده

واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شي ولا يشرع له قبل هذا فيما عقد
عليه السلام قبله فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية
فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر
علم جملتها عنده عليه السلام اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في
ذلك ويحكم بما اراه الله تعالى وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه
لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها
لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا
يصح منه الجهل بشي من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا
تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات
والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور
الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان
وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه
لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين
لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم
ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله عليه السلام اني لا اعلم الا ما
علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمن

مما علمت رشدا وقوله عليه السلام اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت
منها وما لم اعلم وقوله اسئلك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت
به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم
قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما لاخفاء به
اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي
في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة
مجتمعة على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع
الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو
علي رحمه الله تعالى قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا
ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار
ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور
عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله مسعود قال قال
رسول الله عليه السلام ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من
الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي
ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا
يامرني الا بخير وعن عائشة بمعناه روى فاسلم بضم الميم
اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي

فاسلم

فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر
الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على كل احد من بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر
على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن
رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ قد يئسوا
من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي عليه
السلام واسره وفي الصحيح قال ابو هريرة عنه عليه السلام ان الشيطان
عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة
فامكنني الله تعالى منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى
تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي
ملكا الآية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه
السلام ان عدو الله ابليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي في الصلاة وذكر تعوذه بالله ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر
نحوه وقال لاصبح موثوقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في
حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ
به منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط

الاعداء كقضيته مع قريش في الايتمار بقتل النبي عليه السلام وتصوره
في صورة الشيخ النجدي ومرة اخري في غزوة بدر في صورة سراقة
بن مالك وهو قوله تعالي واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية
ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمة ضره
وشره وقد قال عليه السلام ان عيسي عليه السلام كفي من لمسه
فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه
السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب
فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معني
قوله تعالي واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فقد قال بعض
المفسرين انها راجعة الي قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما
ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك علي ترك الاعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي وقيل ينزغنك اي يغرينك ويحركنك والنزغ ادني
الوسوسة فامره الله تعالي انه متي تحرك عليه الغضب علي عدوه او
رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادني وساوسه ما لم يجعل
له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفي امره ويكون سبب تمام عصمته
اذ لم يسلط باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل

في هذه

وقف لله

في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة
الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله
حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره علي
يديه ليتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معني
قوله تعالي وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني القي
الشيطان في امنيته الآية فاعلم ان للناس في معني هذه الاية اقاويل
منها السهل والوعث والسمين والغث واولي ما يقال فيها ما عليه
الجمهور من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقي الشيطان فيها
شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتي يدخل عليه الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل عليه غير ذلك علي افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم
اياته وسياتي الكلام علي هذه الآية بعد باشبع من هذا ان شاء الله
تعالي وقد حكي السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان علي
ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة
سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد
له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب اني مسني الشيطان بنصب وعذاب

قف بمعنى القرانى

انه لايجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر
في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي
وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت
فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن
يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام
عن الصلوة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه
السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في
جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص
او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين وقال
عليه السلام فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا
الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى
واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبي بعد موت موسى وقيل قبيل
موت موسى وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف
قد ذكرنا انها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله انساه
الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد
صاحبي السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر للملك شان يوسف
وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف

ويوشع

ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو يشغل خواطرهما بامور اخر وتذكرهما
من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان
هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له
بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان
الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم
ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر
هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي
وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم
فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل

واما اقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم
فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة
القائمة مقام قول الله صدق عبدي فيما قال اتفاقا وباطباق اهل
الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل
عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرائني ومن قال بقوله ومن جهة

الاجماع فقط وقد ورد الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي عليه السلام
لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه
لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لانطول بذكره فنخرج عن
غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز
خُلْفٌ في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه تعالى
وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في
حالتي الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو
قلت يا رسول الله أكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب
قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من
دليل المعجزة بيانا فنقول انه اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول
الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله
صدقت فيما تذكر عني
له صدق عبدي فيما يذكر عني وهو يقول اني رسول الله اليكم
لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتيكم
الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا
الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة

على صدقه

على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي عن ذلك
كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق **فصل** وقد توجهت
ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي ان النبي عليه
السلام لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى
ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق
العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم
السورة وسجد سجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم
وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان
النبي عليه السلام كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين
قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر
هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين
قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي عليه السلام فانزل
الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله
وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني
على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه

احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به
وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من
الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال
لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون
مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف
كلماته فقائل يقول انه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه
حين انزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة
وآخر يقول بل حدثت نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها
على لسانه وان النبي عليه السلام لما عرضها على جبريل قال ما هكذا
اقراتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي قراها فلما بلغ النبي
عليه السلام ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف
ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها
احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم منها ضعيفة
واهية والمرفوع منه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي عليه السلام كان
بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروي عن
النبي عليه السلام باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده

عن شعبة

عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو
بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه
من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه انه لا
يوثق ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه
ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله
والذي منه في الصحيح ان النبي عليه السلام قرا والنجم وهو بمكة
فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على
عصمته عليه السلام ونزاهته عن مثل هذه النقيصة الرذيلة
اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله فهو
كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه حتى يجعل فيه ما
ليس منه ويعتقد النبي عليه السلام ان من القران ما ليس منه حتى
ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام
او يقول ذلك النبي عليه السلام من قبل نفسه عمدًا وذلك كفر او سهوًا
وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته
عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا

اوان يتشتبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان
عليه سبيل اوان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد
قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الآية ووجه ثان هو استحالة هذه
القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان
بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف
والنظم ولما كان النبي عليه السلام ولا من بحضرته من المسلمين
وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى
متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح
الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي
المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة
وتخليط العدو على النبي عليه السلام لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن
اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان كذلك لوجدت
قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة
كما فعلوا مكابرة في قصة الاسرا حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء

ردة وكذلك ما روي في قصة هذه زائد القضية ولا فتنة اعظم من هذه
البلية لو وجدت ولا تشغب للمعادي حينئذ باشد من هذه
الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك
في ادخال بعض الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكره الرواة لهذه
القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان
الآيتان ردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته الله تعالى لكاد يركن اليهم
فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته
حتى لم يركن اليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم
الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال
عليه السلام قد افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد
مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا
مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
من شيء وقد روي عن بن عباس كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون

قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهبها وكاد
اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش و ثقيف
اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل
فما فعل وما كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن
وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير اخر ماذكرناه من نص الله تعالى
على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الآية الا ان الله تعالى
امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته
ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته عليه السلام وهو مفهوم الآية
واما المأخذ فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله
من صحته ولكن على ذلك من حال فقد اجاب على ذلك ائمة
المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روي قتادة و
مقاتل ان النبي عليه السلام اصابته سنة عند قراءته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا
يجوز على النبي عليه السلام مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله
على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته
في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي عليه
السلام حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية

بن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك
قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي
عليه السلام قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار
كقول ابرهيم عليه السلام هذا ربي على احد التاويلات وكقوله بل
فعله كبيرهم هذا بعد السكت عنه وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد
وانه ليس من المتلو وهذا احد ماذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على
هذا بما روي انه عليه السلام كان في الصلاة فقد كان الكلام
قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند
غيره من المحققين على تسليمه ان النبي عليه السلام كان كما امره
ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها
ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي عليه السلام بحيث
يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي عليه السلام
واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك
على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي عليه السلام في ذم

الاوثان وعيبها ماعرف منه وقد حكي موسي بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القي الشيطان ذلك
في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ماروي من حزن النبي عليه
السلام لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله
تعالي وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية ومعنى تمني تلا
قال الله تعالي لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم
اياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي عليه السلام من السهو
اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية
انه حدث فيها نفسه وقال اذا تمني اي حدث نفسه وفي
رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح
فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من
القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا
السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز
عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا
روي هذه القصة والغرانقة العلا فان سلمنا القصة قلنا
لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلا وان شفاعتهن

لترتجي

لترتجي الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها
الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات
الله كما حكي الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم
الذكر وله الانثي فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر
الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم
نسخ الله ما القي الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين
اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالتباس كما نسخ كثير من القران
ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالي لذلك حكمة وفي نسخه
حكمة اخري ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء وما يضل
به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم
الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
الآية وقيل ان النبي عليه السلام لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر
اللات والعزي ومناة الثالثة الاخري خاف الكفار ان ياتي
بشيء من ذمها فسبقوا الي مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في
تلاوة النبي عليه السلام ويشنعوا عليه على عادتهم في قولهم

لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل
الي الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي
عليه السلام ناله تحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه
الله تعالي وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس
به العدو كما ضمنه الله تعالي من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون الاية ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام
انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال
لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله تعالي انه
ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم
ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه ولكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا
وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله
تعالي الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي
في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال
سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشي السحاب القبر فان قلت فما
معني ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله

علمه

عليه السلام ثم ارتد مشركا وصار الي قريش وقال لهم اني كنت اصرف
محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم
كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلي الله عليه وسلم اكتب
كذا فيقول ء اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما
حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح
عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي عليه السلام بعد ما اسلم
ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله
تعالي واياك علي الحق ولا جعل للشيطان في تلبيسه الحق بالباطل
الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مومن ريبا
اذ هي حكاية عن من ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر قد افتري هو ومثله علي الله ورسوله ما هو
اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية
سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر علي الله
ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة
انه شاهد ما قاله وافتريه علي نبي الله وانما يفتري الكذب الذين
لا يومنون بايات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها
في حديث انس وظاهر حكايتها له فليس فيه ما يدل ان انه شاهدها

ولعله حكي ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه رواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهين للنبي عليه السلام فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم اذ كتبه فقال له النبي عليه السلام كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه بكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول عليه السلام قبل اظهار الرسول عليه السلام لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبدا الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا

فيماكان

فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي عليه السلام فاملا احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي عليه السلام قبل ذكر النبي عليه السلام لها كما قدمناه فصوبها له النبي عليه السلام ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرا بهما معا الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقضي الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي عليه السلام غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي عليه السلام الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف يشاء. فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي عليه السلام من ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا

ولا غلطا وانّه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجدّه
ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السّلف واجماعهم عليه
وذلك انا نعلم من دين الصّحابة وعادتهم مبادرتهم الي تصديق
جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شي وقعت
وانّهم لو لم يكن لهم توقف ولا تردد في شي منها ولا استثبات عن
حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولمّا احتج ابن ابي الحقيق
اليهودي علي عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله عليه السّلام
لهم واحتج عليه عمر بقوله عليه السّلام كيف بك اذا اخرجت من خيبر
فقال له اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو
الله وايضا فانّ اخباره واثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصي
تفاصيلها ولم يرد في شي منها استدراكه عليه السّلام لغلط في قول
قاله او اعترافه بوهم في شي اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من
قصته عليه السّلام رجوعه عمّا اشار به علي الانصاري في تلقيح
النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست
من هذا الباب كقوله والله لا احلف علي يمين فاري خيرا منها
الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتي يبلغ الماء الجدر كما سنبين

كما

كما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله تعالي
مع اشباههما وايضا فانّ الكذب متي عرف من احد في شي من الاخبار
بخلاف ما هو علي اي وجه كان استريب بخبره واتّهم في حديثه ولم
يقع قوله في النفوس موقعها ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث والاخبار
عن من عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته
وايضا فانّ تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة
باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة
الواحدة منه فيما يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها وتزري
بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها
من الصغائر فهل يجري علي حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب
تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ
والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي وتجويز شي من هذا
قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين
بانّه لا يجوز علي الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد
ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم
حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانّه لا يجوز عليهم الكذب
قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك

كان يزري ويريب بهم وينفر القلب عن تصديقهم بعدُ وانظر احوال
اهل عصر النبي عليه السلام من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم
عن حاله في صدق لسانه وما عُرِفوا به من ذلك واعترفوا به
مما عرف واتفق اهل النقل علي عصمة نبينا عليه السلام منه قبلُ
وبعدُ وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين
لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت فما معنى قوله عليه السلام
في حديث السهو الذي **حدثنا** به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر قال
ثنا القاضي ابو الاصبغ بن عيسى بن سهل قال **ثنا** حاتم بن محمد **ثنا** ابو عبد الله
بن الفخار **ثنا** ابو عيسي **ثنا** عبيد الله **ثنا** يحيي عن مالك عن داود
بن الحصين عن ابي سفيان مولي بن ابي احمد انه قال سمعت ابا
هريرة يقول صلي رسول الله عليه السلام صلاة العصر فسلم في
ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام
نسيت فقال رسول الله عليه السلام كل ذلك لم يكن وفي الرواية
الاخري ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث بقصته فاخبر
بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين
قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك
ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو

بينة

بينة التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم
والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين
فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو
والنسيان في افعاله جملة ويري انه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه علي
هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله
وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في
الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه
اجوبة منها ان النبي عليه السلام اخبر عن اعتقاده وضميره اما
انكار القصر فحق وصدق ظاهرا وباطنا واما النسيان فاخبر عليه
السلام عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثاني ان قوله
ولم انس راجع الي السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد
اي لم انس في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث
وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك
لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ
خلافه مع الرواية الاخري الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة

ومانسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ
على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
تعالى والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان
قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله
بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نُسّي وبقوله في
بعض روايات الحديث الآخر لستُ انسى ولكن انسّى لاسنّ فلما قال
له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نُسّي حتى
سأل غيره فتحقق انه نُسّي واُجري عليه ذلك ليسنّ فقوله على
هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن حق وصدق لم يقصر ولم
ينس حقيقة ولكنه نُسّي ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ
وذلك انه قال ان النبي عليه السلام كان يسهو ولا ينسى ولذلك
نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما
هو شغل بال قال فكان النبي عليه السلام يسهو في صلاته ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا
غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت الصلوة
وما نسيت خلف في قول وعندي ان قوله ما قصرت وما نسيت

بمعنى

بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم
من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء
نفسي والدليل على ذلك قوله عليه السلام في الحديث الصحيح اني لا انسى
او نُسّي لاسنّ واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة من الحديث
انها كذباته الثلاث المنصوصة في القران منها اثنتان قوله اني سقيم
وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك
الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره
وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله
اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض
لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم
بما قدر علي من الموت وقيل بل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم
وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر
بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض
بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي
كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته
عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه
ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة

ونظر معلول حتي الهمه الله تعالي باسند لاله وصحة حجته عليهم
بالكوكب والشمس والقمر مانصه الله تعالي وقد قدمنا بيانه واما قوله
بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال
ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا
ولاخلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك
اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالي يقول انما المومنون اخوة
فان قلت فهذا النبي عليه السلام قد سماها كذبات وقال لم يكذب
ابرهيم الا ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في
الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق ابرهيم عليه السلام من مواخذته بها واما الحديث فكان
النبي عليه السلام اذا اراد غزوة ورّي بغيرها فليس فيه خلف في
القول انما هو ستر بمقصده لئلا ياخذ عدوه حذره منه وكتم وجه
ذهابه بذكر السوال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض
بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا
خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان
قلت فما معنى قول موسي عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم

فقال

فقال انا اعلم فعتب الله تعالى عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه وفيه الحديث
قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس
كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن
بن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر
حق وصدق لاخلاف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على
ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي
ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا
لاخلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما يقتضيه وظائف النبوة من علوم
التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه
بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص
المذكورة في خبرهما وكان موسي اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم
على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالي وعلمناه من لدنا علما
وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لاعلم لنا الا ما علمتنا اولانه لم
يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ
كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنته من
مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوي

وان نزه عن هذه الرذائل الانبيا، فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك
ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولي لنفسه وليقتدي به
ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد اعلم به انا سيد
ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احدي حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله
فيه انه اعلم من موسي ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبيا،
عليهم السلام فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري
فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي
آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسي نبي غيره الا
اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه
واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص في قضايا
معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسي
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسي
وقال آخر انما الجئ موسي الى الخضر للتاديب لا للتعليم **فصل** واما ما يتعلق
بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا
الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد
وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا،
عليهم السلام من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك

الاجماع

الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل
العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك
لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ
لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة
واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا،
وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقها، والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخري الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد
الوجهين وذهبت طائفة اخري من المحققين من الفقها،
والمتكلمين الي عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وقالوا لاختلاف
الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس
وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير
بالاضافة الي ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه
كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي
الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها
حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي، والمشية
في العفو عنها الي الله وهو قول القاضي ابي بكر رحمه الله تعالي وجماعة

الائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء، وقال بعض ائمتنا ولا يجب
على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت
المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه
الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه
وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان
من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح
الى الحظر وقد ذهب بعض الائمة الى عصمتهم من مواقعة المكروه
قصدًا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير
الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور
الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير
التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى
بن خويزمنداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول
الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع
فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال

بالاباحة

بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة
او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله
معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين
ونزيد هذه الحجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا
عليه السلام مجمعون انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى
شيئا فسكت عنه عليه السلام دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله
في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ يجب عصمتهم
من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي
الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا
الاقتداء بافعال النبي عليه السلام كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء
باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين
خلع نعله واحتجاجهم برؤية بن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته
مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه
العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله عليه السلام يفعله وقال هلا
اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا
ورسول الله عليه السلام وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل هذا

عنه فقال يجعل الله لرسوله ما يشاء، وقال اني لاحسنا كم لله واعلمكم بحدوده
والاثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بهذا ولو جوزوا عليه المخالفة
في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر
عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي
غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار
الاخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به
على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه
السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في
خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله تعالى على نبينا
وعلى سائر الانبياء عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات
بعيدة عن وجه المخالفة ووسم المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم
من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها قوم اخرون والصحيح انشا،
الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب
فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون

بعد تقرر

بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان
يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا
لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا
معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر
والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة
عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان
طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو
كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم
امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى
امتناع ذلك عقلا قالوا لانه بعيد ان يكون متبوعا من عرف تابعا
وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك
الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى
بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك
اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما
طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان
عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف

بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت
هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل
عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو
كان شيء من ذلك لنقل لما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان
عيسى آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم
دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه
السلام ولا حجة ايضا للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
وللآخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل
هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى اولئك الذين هدى
الله فبهديهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن
له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من قال انه ليس برسول
وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية وشرايعهم مختلفة
لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر
الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد
اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فايما تصور له

وتقرر

وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع
لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون
المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل
تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في
الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعد تعلق الخطاب به وترك
المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية
لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير
الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه
وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة
من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق
على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام وعصمته من جوازه عليه
قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء
وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن
واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى
هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة
في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه

جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك
وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك يناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح
في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال
عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم
بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم
وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي
لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام
عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن فان القائلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم
على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله
عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله
ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه
فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة
الخلق وسياسة الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس
على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور بل كما قال عليه السلام

انه ليغان

انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته و
يناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة
واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذا الحديث مذاهب نذكرها
بعد هذا ان شاء الله تعالى **فصل** في الكلام على الاحاديث المذكور
فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما
يجوز فيه عليه السلام السهو وما يمتنع واحلناه في الاخبار
جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية
على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول
فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلاة
ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني
في حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود
ان النبي عليه السلام صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على
السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ
بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا
السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمنا
وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة

ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني
كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام
اني لا انسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي
اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار
انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى او ينسيني الله قال القاضي
ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني في اليقظة وانسى في
النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو
او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احدى النسيانين الى
نفسه اذ كان له بعض التسبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه
كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى
ان النبي عليه السلام كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان
ذهول وغفلة وآفة قال والنبي عليه السلام منزه عنها والسهو شغل
فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما
في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى
اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه
عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه

متناقض

متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن
لقوله اني لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة
التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى
هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه
غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا
انسى ولكن انسى اذ ليس فيه حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه
وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه
نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه ولكن شغل
بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى
خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة
وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها
الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام
عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
فاعلم ان للعلماء كما يندر من غيره خلاف عادته اجوبة عن ذلك

منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وغيبته في غالب الاوقات
وقد يندر منه غير ذلك ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في
الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي
نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله تعالى
من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث
الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون سنة لمن بعدكم الثاني
ان قلبه عليه السلام لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه
لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه
من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد
النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي الحديث
نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا
وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي
الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال
عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين
غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا
الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح

ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم
عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه عن القول نسيت وقد قال
عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد
اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض
في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على
ما نسخ فعله من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله
اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وما كان من سهو وغفلة
من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه عليه
السلام على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على
طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط
من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله
الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله
تعالى نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى
النبي عليه السلام ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل
البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر
ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به
في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبيا عليهم السلام من
الفقها والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا
على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت
بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل
ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموا من ذلك
فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به من ذلك
قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك
قوله تعالى لنبينا محمد عليه السلام ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقوله
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفى الله عنك
لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص
غيره من الانبيا كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما
اتيهما صالحا جعلا له شركا الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية

وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين الاية وما ذكر من قصته
وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر
راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص
من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي عليه السلام في دعائه اللهم
اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من
ادعيته عليه السلام وذكر الانبيا في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة
وقوله وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني
لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى
عن نوح والا تغفر لي وترحمني الاية وقد كان قال الله تعالى له ولا
تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابرهيم والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله
ولقد فتنا سليمن الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف المفسرون
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما
كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم اعلمه
انه مغفور لك وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها

حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد
ماكان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن بن عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي فخاطبة النبي عليه السلام ههنا
هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي عليه السلام لما امر ان يقول وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك المشركون فانزل الله تعالى ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الآية وبمآل المومنين في الاخرى
بعدها قال بن عباس فمقصود الآية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب
ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرية من العيوب واما قوله
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول بن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه
انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره الذنوب
معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل معناه حططنا عنك ثقل
ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب
شريعتك حتى شرعنا لك ذلك حكاه معناه القشيري وقيل معناه

خففنا

خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى
انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة
اهتمام النبي عليه السلام بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد
النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع
الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل
الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله
تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم
اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي عليه السلام فيه من الله تعالى نهي
فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة
وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله تعالى من ذلك
بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل
عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فاذن لمن شئت منهم
فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى
بل كما قال النبي عليه السلام عفا الله لكم عن صدقة الرقيق والخيل ولم
تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله

عنك اي لم يلزمك قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك
الله واما قوله في اساري بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايتين
فليس فيه الزام ذنب للنبي عليه السلام بل فيه بيان ما خص به وفضل
به من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال
عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة قيل المعنى بالخطاب لمن اراد
ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس
المراد بهذا النبي عليه السلام ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالكسب وجمع
الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى
لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الاية فقيل معناها
لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي
ان يكون امر الاسارى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو
الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا ان يقال لولا انكم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت
لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح

المحفوظ

المحفوظ انها حلال لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل
ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل
بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه
قال جاء جبريل النبي عليه السلام يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا
الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح
غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وتبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا
اشار الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه
في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو
استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك الوقت عذابا لحله لهم فيما
سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت ما جاز ان يظن
ان النبي عليه السلام حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل
الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلا

اخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال
الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا افادوا بها سرية عبد الله بن جحش
التي قتل فيها ابن الحضرمي ابا الحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله
ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل
النبي عليه السلام في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى
ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله اعظم امر بدر وكثرة
اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح
المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار او تذنيب هذا معنى
كلامه واما قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآيات فليس فيه اثبات
ذنب له عليه السلام بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدي له ممن لا
يتزكى وان الصواب والاولى له كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال
على الاعمى وفعل النبي عليه السلام لما فعل فيه وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له
لا معصية ومخالفة له وما قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام بحال
الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
عليه السلام قاله ابن تمام واما قصة آدم عليه وقوله تعالى فاكلا

منها

منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما
عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه
فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد
عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة
ابليس لعنه الله وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك
ولزوجك الآية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي
الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا
لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما
ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض
الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمومن يخدع وقيل
نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة
واكثر المفسرين على ان العزم هنا الجزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران
وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان
ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق
على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك
وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء و

والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة
التي نهيا عنها لانه تأول نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس
ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول
ان الله تعالى لم ينهه نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله وعصى
آدم ربه قال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني
نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا
اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها
آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه أبق وذهب مغاضبا
وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب
وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفى الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب
ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء
الرسالة وتقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية
الا على قول مرغوب عنه وقوله أبق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد
واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا
اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا
نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم

واضاف

واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوا
ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه
واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام
فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا
وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد
في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله تعالى وظن داود انما
فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن
عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك
واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه الله عليه وانكر عليه
عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد
قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي
ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه والى نفي ما اضيف اليه في الاخبار الى داود من ذلك فذهب
احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في
قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم واما قصة
يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت
نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران

عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من بقي من ابناء الاسباط وقد قيل
انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا اصغار الاسنان ولهذا لم
يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع
ويلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى
فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من
الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه
السلام عن ربه تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة
فلا معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين
فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه
النفس من همومها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله
تعالى هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما
ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به
ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المراة
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله

انه

انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي الله تعالى وقيل الملك وقيل
هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها
وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بها بضربها ودفعها وقيل هذا
كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زالت النساء يملن الى يوسف
ميل شهوة حتى نباه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته
كل من راه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد
نص الله تعالى انه كان من عدوه من القبط الذين على دين فرعون ودليل
السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله تعالى هذا من
عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل
انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا
للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كله
قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك
فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى
له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه
اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة
في اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الآية

استعمل في عرف الشرع في اختبار ادي الى ما يكره وكذلك ما روي في
الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينيه ففقاها الحديث
ليس فيه مما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له
اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه
من اتي لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ
انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى لهما فلما جاءه
بعد واعلمه الله انه رسول اليه استسلم وللمتقدمين وللمتاخرين
على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام
ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه
ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة
معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه قوله
ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتلينا وابتلاؤه ما حكي عن النبي عليه السلام
انه قال سليمان لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين
كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه
قل ان شاء الله تعالى فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق
رجل فقال النبي عليه السلام والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله تعالى

يجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على
كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على
كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وعلق عليه من اليمين وقيل عقوبته ان سلب
ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل
اوخذ بذنب فارقه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من
خرافاتهم عما فعله ومن تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه
في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم
الله تعالى الانبياء من مثله وان سئل لم يقل سليمان في القصة المذكورة
ان شاء الله تعالى فعنه اجوبة احدها ما روي في الصحيح انه نسي ان
يقولها وذلك لتنفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل
عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يقل هذا سليمان غيرة
على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده على ذلك على ما ذكره المفسرون
ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه
مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون ذلك له
من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء
الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته

كالانة الحديد لابيه واحياء الموتي لعيسى واختصاص محمد عليه السلام بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهره العذر و انه اخذ فيها بالتاويل فظاهر اللفظ لقوله تعالى انا منجوك واهلك فطلب مقتضي هذا اللفظ واراد علم ماطوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذي وعدهم الله تعالى نجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله مالم يوذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لايعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لايقتضي على نوح معصية سوي ماذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيمن لم يوذن له فيه ولا نهي عنه ومارُوي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل مارآه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذي عليه وليس فيما اوحى الله اليه مايوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر

وترك

وترك التشفي كما قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم

فصل

فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسُنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل والسهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ

من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اى اخره واذناب الناس رذالهم
فكانت هذه ادني افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية
وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة
اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك
العصيان والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو
او تاويل فهو مخالفة وترك وقوله غوي اي جهل ان تلك الشجرة هي
التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود ادخالها
وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد
صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانسيه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان
يذكره لسيده الملك قال النبي عليه السلام لولا كلمة يوسف ما لبث في
السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال يوسف ذلك قيل له اتخذت من
دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسي قلبي كثرة البلوي
وقال بعضهم الانبياء يؤاخذون بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده

وتجاوز

وتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به
من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولي علي سياق ما قلناه اذا
كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ بها غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوا حالا
من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا علي
حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون
ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له
سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدي
وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسي تبت اليك
اني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته
فسخرنا له الريح الي وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء
في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو
مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في
درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل
هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري
ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص من قصة

صاحب الحوت نقصا له ولكن استزاده من نبينا عليه السلام وايضا
فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر
ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر
عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف
الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا
عن المؤاخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي
عليه السلام وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية واعتراف بالتقصير شكر الله على النعمة كما قال عليه السلام
وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال
اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد خوف الانبياء
والملائكة خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك
ليقتدي بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان التوبة والاستغفار
معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعا محبة الله
تعالى قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث
الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين
استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله

تعالى

تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا **فصل** قد استبان ذلك ايها الناظر بما قررناه ما
هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه
على حالة ينافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا
وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه
من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته من الكذب وخلف القول
منذ نباه الله وارسله الله قصدا وغير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا
واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه
عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته
في كل حالاته من رضا وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاها
باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز
او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها
خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث
لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به

واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط
عليه السلام على الرجلين عباد بن بشير واسد بن حضير الذين راياه
ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال
لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان
يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا قال القاضي رحمه الله هذه اكرمك الله
احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم
بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم
وان السكوت اولى وقد استبان ذلك انه متعين للفائدة التي ذكرناها
وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبنى عليها مسائل لا تعد
من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي العلماء في عدة منها
وهي الحكم في اقوال النبي عليه السلام وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير
من اصول الفقه ولا بد من بيانه على صدق النبي عليه السلام في اخباره
وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله
عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل
بسط بيانه في كتب العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم
والمفتي فيمن اضاف الى النبي عليه السلام شيئا من هذه الامور ووصفه
بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف

كيف يصح

كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح
فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة
للنبي عليه السلام وسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء
والمحققين في عصمة الملائكة **فصل** في القول في عصمة الملائكة
اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان
حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم
منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا
في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي
واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن
المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله كرام
بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة
الى ان هذا خصوص المرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها
اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين
الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم
الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم

ورايت بعض شيوخنا اشار الي ان لاحاجة بالفقيه الي الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبيا من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم في قصة هاروت وماروت وماذكر فيهما اهل الاخبار ونقله المفسرين وما روى عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرد منها شي لاسقيم ولاصحيح عن رسول الله عليه السلام وليس هو شيئا يوخذ بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر ماقال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك مايكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل على وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعلم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال تعالى انما نحن فتنة فلاتكفر

وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لاتفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولاتتخيلوا بكذا فانه سحر ولاتكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه ينزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكره غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لاينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقرير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعاء اليهود عليهما المجي به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمان الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل المرء وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن ابزي بكسر اللام ولكنه قال الملكان

هنا داود وسليمان وتكون منفيا علي ما تقدم وقيل كانا ملكين من
بني اسرائيل فمسخهما الله تعالي حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام
شاذة فتحمل الآية علي تقدير ابي محمد مكي حسن بتنزه الملائكة ويذهب
الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالي بانهم مطهرون
وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ومما يذكرونه
قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة
الي آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا
ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو
الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان
من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء
من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالي ما لهم به من
علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبارات خلقا من الملائكة
عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون
كذلك حتي سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها
صحاح الاخبار فلا تشتغل بها الباب الثاني فيما يخصهم من الامور الدنيوية
ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام وسائر
الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص البشر يجوز

عليه

عليه من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام و
ما يجوز علي البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمي ناقصا
بالاضافة الي ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالي علي اهل
هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر
بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكي واصابه الحر والقر وادركه
الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف
والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم
وسحر وتداوي واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضي نحبه فتوفي عليه السلام
ولحق بالرفيق الاعلي وتخلص من دار الامتحان والبلوي وهذه سمات البشر
التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا
قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض
الاوقات ومنهم من عصمه الله تعالي كما عصم بعد نبينا من الناس
فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمية يوم احد ولا حجبه عن عيون
عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ علي عيون قريش عند خروجه
الي ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة
ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية
وهكذا سائر انبيائه مبتلا ومعافا وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم

في هذه المقامات ويبين امرهم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيهم الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكني انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل بظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه ولذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم

بقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه ان شاء الله تعالى

فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن اسمعيل ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله عليه السلام حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولم يأتهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي عليه السلام في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملاحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما

ماورد انه كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما
يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام
الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه
في امور دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها
عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا
حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر
من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال وهذا اشد
ما يكون من السحر ولم يأت من خبر منها انه نقل عنه في شيء من ذلك
قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر
وتخييلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد
واقواله على الصحة هذا ما وقفت لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث
مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد من
مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد
الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير
وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله عليه السلام

فجعلوه

فجعلوه في بئر حتى كاد عليه السلام ان ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما
صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر
حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه
ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد
الرزاق حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة خاصة سنة حتى
انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنه مرض
رسول الله عليه السلام وحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه
ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان
السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله
وانما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل
اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته
القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على
اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان
بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة رضي الله عنها
في الرواية الاخرى انه يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل
من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه
او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره

وضعف نظره لا الشيء طرا عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر
من اصابه التحرله وتاثيره فيه ما يدخل لبسا او لايجد به الملحد
المعترض انسا نصل هذا حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا
فنحن نسيرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها
فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون على
شك اوظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاص
وغير واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر ثنا ابو
العباس الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه بن سفيان ثنا مسلم ثنا
عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا ثنا
النضر بن محمد قال ثنا عكرمة قال ثنا ابو النجاشي ثنا رافع بن خديج
قال قدم رسول الله عليه السلام المدينة وهم يوبرون النخل فقال
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه
فنقصت فذكروا له ذلك فقال انما انا بشر مثلكم اذا امرتكم بشيء من
دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من راي فانما انا بشر وفي رواية
انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني
بالظن وفي حديث بن عباس في قصة الخرص فقال عليه السلام انما
انا بشر مثلكم فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل

نفسى

نفسى فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل
نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى بن اسحق انه عليه السلام لما نزل
بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا
ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة
قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور
ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما
قاله وقد قال له الله تعالى وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض
عدوه على ثلث ثمار المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم
رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة
ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله
نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي عليه السلام مشحون القلب بمعرفة الربوبية
ملان الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق
في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد
تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها

وسياسة فرق اهلها ما هو معجز فى البشر مما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته
من هذا الكتاب فصل واما ما يعتقد فى امور احكامه البشرية الجارية
على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المفسد من المصلح فهذه
السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم
ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مما اسمع فمن قضيت
له من حق اخيه بشئ فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار
حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا
ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان
عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة
قالت قال رسول الله عليه السلام الحديث وفى رواية الزهري عن عروة
فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضى له وتجري
احكامه على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين
الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة
الله فى ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سائر عباده ومخبآت ضمائر
امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف
او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته اتباعه والاقتداء به
فى افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص

بعلمه

بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به فى شئ من ذلك
ولا قامت الحجة بقضية من قضاياه لاحد فى شريعته لانا لا نعلم ما
اطلع عليه هو فى تلك القضية بحكمه هو اذًا فى ذلك بالمكنون من اعلام
الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا يعلمه الامة فاجرى
الله تعالى احكامه على ظواهرهم التى يستوي فى ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به فى تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا
من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان فى الفعل اوقع منه بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى فى البيان
واوضح فى وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام
وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون
شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما
شاء ولا يقدح هذا فى نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما
اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله
فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه فى كل حال وعلى اى وجه
من عمد او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب وانه معصوم منه
عليه السلام هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب

فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه
فى الامور الدنيوية لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا ياخذ مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روى من ممازحته
ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا
فى تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة
التى سالته عن زوجها اهو الذي بعينيه بياض وهذا كله صدق
لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينيه بياض وقد قال عليه السلام
انى لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير
الخبر مما صورته صورة الامر والنهي فى الامور الدنيوية فلا يصح منه
ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشئ او ينهى احدا عن شئ وهو يبطن
خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين
فكيف ان تكون له خائنة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى
فى قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك
زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه النبي عليه
السلام عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما فى هذا ما حكاه اهل
التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب

ستكون

ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك
واتق الله واخفى منه فى نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها
مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه
عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي عليه السلام يعلمه
ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى فى نفسه ويصحح
هذا قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي
لا بد لك ان تزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير
زواجه لها فدل انه الذى اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به
تعالى وقوله تعالى فى القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه من حرج فى الامر قال الطبري
ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال
الله تعالى سنة الله فى الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل
لهم ولو كان على ما روي فى حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي
عليه السلام عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج
وما لا يليق به من مده عينه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا
نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء
قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي عليه

السلام وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل
يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه عليه السلام وهو
زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي عليه السلام
اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد
من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه
لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر
النبي عليه السلام لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته
فنهاه النبي عليه السلام عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة
واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما ان طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال
تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره
لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكره فيه لما طبع
عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها
ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي
في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي
وهو قول بن عطا وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه

عول

عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل
التفسير قال والنبي عليه السلام منزه عن استعمال النفاق في ذلك
واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله سبحانه عن ذلك بقوله
تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك
بالنبي عليه السلام فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف
وانما معناه الاستحيا ان يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه
وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين
واليهود وتشنيعهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه
عن نكاح حلائل الابنا كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات
اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعات رضى ازواجه في سورة التحريم
بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كقوله ههنا وتخشى الناس والله
احق ان تخشيه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله
عليه السلام شيا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابدا ما اخفا

فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع
احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو
ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى
الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد

ابو علي رحمه الله قال ثنا القاضي ابو الوليد قال ثنا ابو ذر قال ثنا ابو
محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف قالوا ثنا محمد بن
اسمعيل قال ثنا محمد بن عبد الله قال ثنا عبد الرزاق نا معمر عن الزهري
عن عبد الله بن عبد الله عن بن عباس قال لما حضر رسول الله
عليه وفي البيت رجال فقال النبي عليه السلام هلموا اكتب لكم كتابا
لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله عليه السلام قد بلغه غلبه نخ
الوجع الحديث وفي رواية ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا
فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه
خير وفي بعض طرقه فقال ان النبي عليه السلام يهجر وفي رواية هجر
ويروى اهجر اوفيه فقال عمر ان النبي عليه السلام قد اشتد به
الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي
رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم
رسول الله عليه السلام كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا
في هذا الحديث النبي عليه السلام غير معصوم من الامراض وما يكون
من عوارضها من شدة وجع او غشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم
ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد
في شريعته من هذيان او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح رواية من روى

في الحديث

في الحديث هجرا اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا
اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار
على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا في صحيح البخاري من رواية جميع
الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن بن
عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق
وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه
رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان
يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد
من حال الرسول عليه السلام وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف
فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لو لم يضبط هذا القائل واجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر ونحو هذا
وانما على رواية اهجر وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث
بن جبير عن بن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا
الى المختلفين عنده عليه السلام ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم
باختلافكم على رسول الله عليه السلام وبين يديه هجرا ومنكرا من القول
والهجر بضم الهاء الفحش من القول في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى
هذا وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام بان ياتوه بالكتاب فقال

بعضهم اوامر النبي عليه السلام يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها
بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه
لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك
فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما راه
من الصواب راي عمر ثم هولاء قالوا او يكون امتناع عمر اما اشفاقا
على النبي عليه السلام من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان يدخل
مشقة من ذلك كما قال ان النبي عليه السلام اشتد به الوجع وقيل
خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب
الصواب فيكون المصيب والمخطي ماجورا وقد علم تقرر الشرع وتاسيس
الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب
الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي
عليه السلام وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه
مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء
الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث
ان النبي عليه السلام كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه
ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض الصحابة فاجاب رغبتهم وكره ذلك

غيرهم

غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القضية بقول العباس
لعلي انطلق بنا الى رسول الله عليه السلام فان كان الامر فينا علمناه
وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني
فان الذي انا فيه خير من ارسال الامر وتركم وكتاب الله وان
يدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين
ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه
ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي
ثنا ابو احمد الجلودي قال ثنا ابرهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج
ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين
قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله عليه السلام يقول اللهم
انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا
لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له
كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت
عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة وصلوة ورحمة وكيف يصح
ان يلعن النبي عليه السلام من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق
السب ويجلد من لا يستحق الجلد ويفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم

من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولاً ليس لها باهل اي
عندك يارب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال
وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او اذيته بسبه او لعنه
بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته
ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه بها الله وحذره ان تتقبل فيمن دعا
عليه دعوته ان يجعل دعاه ولعنه رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل
لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا
بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب
البشر ان الغضب يحمله على من لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب
لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه
او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج
الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل
ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير
العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله
تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقري حلقي وغيرها من دعواته
وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال
انس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة

ماله

ماله تربت جبينه [يمينه] فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق من موافقة
امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له
زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له
لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي عليه السلام وتقبل
دعائه [illegible]حمله على الياس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه
لربه لمن سبه او جلده على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك كفارة له لما
اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو
والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب
فهو كفارة له فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي عليه السلام
له حين تخاصم مع الانصاري في الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله عليه
السلام ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر الحديث
فالجواب ان النبي عليه السلام منزه عن ان يقع بنفس مسلم منه في هذه
القصة امر يريب ولكنه عليه السلام ندب الزبير اولا الى الاقتصار على
بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال
ما لا يجب استوفى النبي عليه السلام للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر

في آخر الحديث فاستوعا عليه السلام حينئذ للزبير حقه وقد جعل
المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به عليه السلام
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهي ان يقضي القاضي
وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضي سواء لكونه فيهما معصوما
وغضب النبي عليه السلام انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتهمة حمله
الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب
فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي عليه السلام اعيذك
يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله عليه السلام وكذلك في حديثه الآخر
مع الاعرابي حين طلب منه عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي
قد عفوت عنك وكان النبي عليه السلام قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد اخرى والنبي عليه السلام ينهاه ويقول تدرك حاجتك
وهو يأبى فضربه بعد ثلث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند
نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه
من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمر اتيت النبي عليه السلام
وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب كان في يده
في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه

عليه السلام لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما
كان منه ايجاع لم يقصد طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما
افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات
ما قدمناه من جواز السهو او الغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير
قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب
بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان
عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه
وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته
وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر
يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند
او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال
ويعد الامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره
ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها
يوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار
مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة
لامته وسياسة وكراهيته لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا

منه كما يترك الفعل لهذا وقد يري فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور
الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان
مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم
مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس
ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد
ابرهيم عليه السلام مراعاتا لقلوب قريش وتعظيمهم لغيرها وحذرا
من نفار قلوبهم من ذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله
فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت
البيت على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه
كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها الى العدو من قريش وكقوله لو
استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه
للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار
الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته ودين
ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى
لا يبدو منه شي من اطرافه وحتى كان على روس جلسائه الطير ويحدث
مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون
منه وقد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب لا يقصر عن الحق

ولايبطن

ولا يبطن على جلسائه ويقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان
قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل
عليه الان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر
الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز له ان يظهر له خلاف ما يبطن
ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا
لمثله وتطييبا لنفسه وليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه
ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد
خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم
باموال الله العريضة فكيف بالكلمة الطيبة اللينة قال صفوان لقد اعطاني
وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله بئس
ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله
ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا
ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم تكن بغيبة بل كان جائزا
بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين
من الشهود فان قيل فما معنى الاصل المعضل الوارد في حديث بريرة
من قوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها وقد اخبرته ان موالي
بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها اشتريها واشترطي لهم

للولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا
ليست في كتاب الله كل شرط ليس هو في كتاب الله فهو باطل والنبي عليه
السلام قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها
من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه
السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي عليه
السلام منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي عليه السلام
عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست
في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم
قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال ان اسأتم فلها فمعنى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي عليه السلام ووعظه لما سلف لهم
من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي عليه السلام قبل ان الولاء لمن
اعتق فكانه قال اشترطي لهم او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والي
هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي عليه السلام وتقريعهم على
ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي
لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو

لمن اعتق

لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو عليه السلام مبينا ذلك وموبخا على المخالفة
ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه
اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في
ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الآية
تدل على فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الآية فاذا كان
كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم
اخاه بان اني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من
وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة
عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف
فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التاويل كائنا
من كان ظن عليه صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم
قبل يوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول الانبياء ما لم
يات انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات
غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه
وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله
تعالى به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوه به كايوب ويعقوب ودانيال

ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم
وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصطفاؤه فاعلم وفقنا الله واياك
ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق ولا مبدل لكلماته
يبتلي عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا
وليعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وليعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في
مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر
والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم
وتاكيد لبصايرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين ويتسلوا في المحن
بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ويمحو الهنات فرطت منهم او غفلات
سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم
اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسن الصيرفي وابو
الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلا البغدادي قال ثنا ابو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد
عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل فيبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة

وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن
ابي هريرة ما يزال البلاء بالعبد المؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله
وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير
عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه
حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث آخر اذا احب الله عبداً ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه
اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال
يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد
حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته اليه في الصلاة و
يوسف نايم محبة له وقيل بل اجتمع هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي
وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكا وبكت جدة
له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب
بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من
الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه
الا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي
نص الله تعالى عليها وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل
مع اهل قريته على ملكهم وكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق

به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنته سليمان لما
ذكرناه من بيته في كون الحق في جنبه اصهاره او العمل بالمعصية في
داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي عليه السلام
قالت عائشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله عليه
السلام وعن عبد الله رايت النبي عليه السلام في مرضه يوعك وعكا
شديدا فقلت له انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني لاوعك كما
يوعك الرجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك
كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي عليه السلام
فقال والله ما اطيق ان اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي
عليه السلام انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلا
بالقمل حتى تقتله وان كان النبي ليبتلا بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء
كما يفرحون بالرخاء وعن انس عنه عليه السلام ان عظم الجزاء مع
عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن
سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
ان المسلم يجزي بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عائشة
رضي الله عنها وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد
الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم

الا

الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد
ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى
ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث بن
مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت
ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل
خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مونة النزع وشدة السكرات بتقدم
المرض وضعف الجسم والنفس لذلك بخلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد
من اختلاف احوال الموت في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد
قال عليه السلام مثل المومن مثل خامة الزرع يفيئها الريح هكذا
وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها فاذا سكنت
اعتدلت وكذلك المومن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة
حتى يقصمها الله تعالى معناه ان المومن مرزا مصاب بالبلاء والامراض
راض بتصريفه بين اقدار الله مطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة
سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المومن رياح البلايا واعتدل
صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون الرياح الجو رجع الى شكر ربه

ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظراً رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذا
السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيه من الاجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض اوشدته والكافر بخلاف
هذا معافا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد
هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان
موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد
الماً وعذاباً ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال الله تعالى
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا الآية فجاءهم
بالموت على حال عتو وغفلة وفجئهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما ذكر
السلف موت الفجاءة ومنه حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذه كاخذة
الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات
وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم
تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد فيكون قلبه
معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد

ويؤدي

ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه
اوامر بعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن
واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث
الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار
عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة
او الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله
المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا للكفار لاملاء الله لهم
ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاءة سبحان الله
كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاءة راحة للمؤمن
واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا
مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته
من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وياتي
الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة
بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون

فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا اقطع امر صدمه واكره شيء له
ولهذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام
فيمن تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة وما يجب من الحقوق للنبي
صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا
حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصيه من المسلمين وسابه
قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها
الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك ان اليهود كانوا
يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون
الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها
لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها مشاركة
اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب
وعدم توقير النبي عليه السلام وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا

نزعك

نزعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه
السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو النبي عليه السلام قد نهى عن
التكني بكنيته فقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية
عن اذاه اذ كان عليه السلام استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال له
لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى
باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجعل بذلك المنافقون والمستهزئون
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا
لسواه تعنيتا واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام
حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه
بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها
وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك
على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك
لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه
يا رسول الله ويا نبي الله وقد كانوا يدعونه بكنيته يا ابا القاسم بعضهم
في بعض الاحوال وقد روي عنه عليه السلام ما يدل على كراهة
التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا

ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احدٌ باسم النبي
عليه السلام حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل
اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر
لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا اري محمداً صلى الله عليه وسلم
يسب بك والله لا تدعى محمداً ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد
ان يمنع بهذا ان يسمى احد باسماء النبي وغيّر اسماء جماعة تسموا باسماء
الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل
اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي
القاسم وروي ان النبي عليه السلام اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه
وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي
عليه السلام محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن
قيس وغير واحد قال ما ضرّ احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب الاول
في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم
وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي عليه السلام او عابه او الحق
به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او
شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه

او الغض منه

او الغض منه او العيب له فهو سابٌ له والحكم فيه حكم الساب يقتل
كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد
ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه
او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عتب
في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره
بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية
الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى
من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر
اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي عليه السلام يقتل وممن قال
ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي
الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري
واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروي مثله الوليد
بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه
عليه السلام او برئ منه او كذبه وقال سحنون عبد الكريم فيمن سبه ذلك
ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله
حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا

في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الائمة وقد ذكر غير
واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد
علي بن احمد الفارسي الي الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمنا
قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي عليه السلام المتنقص له
كافر والوعيد عليه جار بعذاب الله له وحكمه عند الائمة القتل ومن شك
في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا
بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة بقوله عن النبي عليه السلام صاحبكم
وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله
اذا كان مسلمًا وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي
عليه السلام من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية
او شتمه او عابه بنقيصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق
وقد فرض الله تعالي توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة
من شتم النبي عليه السلام من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب
والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب احمد بن ابي
اويس بن اخت مالك سمعنا مالكًا يقول من سب رسول الله عليه السلام
او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلمًا كان او كافرًا ولا يستتاب وفي كتاب

محمد بن

محمد بن المواز اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي عليه السلام او غيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل
حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله
بن عبد الحكم من سب النبي عليه السلام من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وحكي الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروي ابن وهب عن مالك
من قال ان رداء النبي عليه السلام ويروي زر النبي عليه السلام وسخ اراد
به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من
الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي
فيمن قال في النبي عليه السلام الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد
بن ابي زيد بقتل رجل سمع قومًا يتذاكرون صفة النبي عليه السلام
اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية تريدون تعرفون صفته هي في صفة
هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله
وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي عليه السلام كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا
وحق رسول الله عليه السلام فقال قول يا رسول الله كذا وذكر كلامًا قبيحًا
فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت
برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان الذي ساله اشهد عليه

وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء
التاويل في لفظ صريح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله
عليه السلام ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب
في عشار قال لرجل ما عليك ادو اشك الي النبي عليه السلام وقال ان
سالت او جهلت فقد جهل وسال النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه
بحق النبي عليه السلام وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن
حيدره وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها
الي اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم
الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس
القاضي ابو العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا محمد عليه السلام فاحضر القاضي
يحيي بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه وطعن بالسكين
وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكي بعض المورخين انه لما رفعت
خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولت عن القبلة فكانت
آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيي عمر صدق رسول
الله عليه السلام وذكر حديثا انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال

وقال

وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي عليه السلام
هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه
في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن
ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما
فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان
من قصد النبي عليه السلام باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله
واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا ونقصا يجب قتل قائله لم
يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما
اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم
او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه
او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الي نسائه فحكم هذا كله
لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما
يدل عليه **فصل في الحجة** في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام
فمن القران لعنه الله تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه
باذاه ولا خلاف في قتل من سب وان اللعن انما يستوجبه من هو
كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله الاية
وقال في قتل المومن مثل ذلك عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال

ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزله من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى به قط الا ان ينتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه

لكن

لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن العفو عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررنا قبل وبالله التوفيق

فصل قد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه وازرائه وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه **الوجه الثاني** لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في حقه عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن معيط نادى يا معشر قريش

مالي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي عليه السلام بكفرك وافترائك
على رسول الله عليه السلام وذكر عبد الرزاق ان النبي عليه السلام
سبّه رجلٌ فقال من يكفي عدوّي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير
وروي ايضا ان امراة كانت تسبّه عليه السلام فقال من يكفني عدوّي
فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب على رسول
الله عليه السلام فبعث اليه عليًّا والزبير ليقتلاه وروي بن قانع ان
رجلا جاء الي النبي عليه السلام فقال يا رسول الله سمعتُ ابي يقول فيك
قولًا قبيحا فقتلتُه فلم يشق ذلك على النبي عليه السلام المهاجرين وابي
امية امير اليمن لابي بكر الصديق رضي الله عنه ان امراة هناك في الردّة
غنّت بسبب رسول الله عليه السلام فقطع يديها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك
ابو بكر فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لانّ حدود الانبياء ليست تشبه
الحدود وعن بن عباس هجت امراة من خطمة النبي عليه السلام فقال من
لي بها فقال رجلٌ من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي
عليه السلام فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن بن عباس ان اعمى كانت
له ام ولد تسبّ النبي عليه السلام ويزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات
ليلة جعلت تقع في النبي عليه السلام وتشتمه فقتلها واعلم النبي عليه
السلام بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا

عن ابي

عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فغضب على رجل من المسلمين
وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سبّ
ابا بكر ورواه النسائي واتيتُ ابا بكر وقد اغلظ للرجل فردّ عليه فقلت
يا خليفة رسول الله دعني اضرِبْ عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحدٍ
الّا لرسول الله عليه السلام قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد
فاستدلّ الائمة بهذا الحديث على قتل من ابغض النبي عليه السلام بكلّ
ما ابغضه او اذاه او سبّه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سبّ عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمرُ
انه لا يحلّ قتل امرء مسلم بسبّ احدٍ من الناس الّا رجل سبّ رسول الله
عليه السلام فمن سبّه فقد حلّ دمُه وسئل الرشيدُ مالكًا في رجل شتم
النبي عليه السلام وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك
فقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء قُتل ومن
شتم اصحاب النبي عليه السلام جُلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه
الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلّفي اخباره وغيرهم
ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا
مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه
او يميل بها هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السبّ فيكون الخلاف هل هو سبّ

او غير سبب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لمالك على اصله والا فالاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبارات من سبه
او تنقصه عليه السلام قد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سره طويته
وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن
مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر دليل
على الكفر فيقتل حداً وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير
منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله واما صريح كفر كالتكذيب ونحوه
او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل
استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف وقال الله تعالى في مثله
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل
التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل
قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا كقول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان كان قائل مثل هذا
ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق ويقتل ولانه غير دينه وقال عليه
السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي عليه السلام في الحرمة
مزية على امته وساب الحر من امته يحد وكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام
القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره **فصل** فان قلت فلم لم يقتل

النبي

النبي عليه السلام اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه
ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد
تاذى النبي عليه السلام من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا
فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان فاعلم
وفقنا الله واياك ان النبي عليه السلام كان اول الاسلام يستالف عليه
الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا
تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وكان عليه السلام يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم
ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه
وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال تعالى
ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله
يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة
عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر
امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة
من يهود وغيرهم او غيلة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط

فجملة مظهرى الايمان به ممن كان يوذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر
وعقبة وكذلك هدر دم جماعة سواهم لكعب بن زهير وابن الزبعري
وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين
مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها
القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا وكان مع هذا
يطمع فيئتهم ورجوعهم الي الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام علي
هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا
كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام
منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب
بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه
السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلي
هذا يحمل امر اليهودي في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا
ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم ينفرد بعلمه ولهذا
نبه النبي عليه السلام اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم
في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم

فانما

فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم ولذلك قال بعض اصحابنا البغداديين
ان النبي عليه السلام لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت
بينة علي نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم
الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس
قريب عهدهم بالايمان بالاسلام ولم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد
شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين
وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي عليه
السلام لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر
ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي عليه
السلام والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم
ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته
منسوبا الي مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله تعالى عن
قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل
وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز
لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي عليه السلام وقاله القاضي ابو
الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون

والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال معناه اذا اظهر المنافقون النفاق وحكي محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي عليه السلام منه الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا انه من الاذي الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعاء على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي عليه السلام قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذي قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد قدمنا ان الاذي والسب في حقه عليه السلام سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين

ايما

اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذي المومنين وفي اذي المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الي قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الي قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله عليه السلام واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابو ذر الهروي اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد

بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر علي بن موسى
عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين بن علي عن ابيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب
اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي عليه بقتل كعب بن الاشرف
وقوله من الكعب بن اشرف فانه يوذي الله ورسوله ووجه اليه من
قتله غيلة دون دعوة بخلاف من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله
اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يوذى
رسول الله عليه السلام ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل
وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث اخر
ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد
انا فبعثه النبي عليه السلام فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان
يوذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا اودفور علمه
اوزهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عنه عليه السلام وتواتر
الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح من
الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد
ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره

اليه

٢٥١

اليه اوقلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا
الوجه حكم الوجه الاول القتل دون اذ لا يعذر احد في الكفر
بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذ كان عقله في
فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون
علي بن حاتم في نفيه الزهد عليه السلام الذي قدمناه وقال محمد بن
سحنون في الماسور يسب النبي عليه السلام في ايدي العدو يقتل الا
ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل
اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي عليه السلام
في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد بهذا ويفعله في صحوة وايضا
فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود ولانه ادخله
على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر
منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق
والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا الحديث حمزة وقوله للنبي عليه
السلام وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي عليه السلام انه ثمل
فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم
وكان حكم ما يحدث معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون
فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته

او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته او لا
فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه
اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط
القتل عنه توبته لحق النبي عليه السلام ان كان ذكره بنقيصة فيما
قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق
لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه ان شاء الله تعالى قال ابو
حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا
ان يرجع قال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء يقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله
عليه السلام وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن
بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى
اليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ
وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي
تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان
معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي عليه السلام
في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد عليه السلام

عن الله

عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي عليه السلام كان حكمه عند
الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
عليه السلام اسود قتل لم يكن النبي عليه السلام باسود وقال نحوه
ابو عثمان الحداد قال ولو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت
ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته
ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق
يقتل دون استتابة **فصل** الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل او
يلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي عليه السلام او غيره او يتردد
في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة
العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي عليه السلام
وحمى حما عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرء
الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل غريمه
فقال له صلي علي النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي عليه السلام او شتم الملائكة الذين
يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن
مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه

انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي
عليه السلام ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم
النبي عليه السلام او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل
عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هولاء لاجل قول الاخر
له صلي على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا
عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث
بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الي القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا
فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة
الفاظه وما يدل علي مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس
فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب
فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل من اكتسب المال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد
اليه التاويلات لابد من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي
محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل
ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم
ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان ولذلك افتى فيمن قال لعن الله

من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفي من لعن حديث لا يبيع
حاضر لباد ولعن الله ما جاء به انه كان يعذر بالجهل وعدم معرفة
السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله
سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى
سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام
سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير يا ابن مائة كلب
وشبهه من هذا القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه
واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الي ادم عليه
السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه
ولو علم انه ما قصد سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق
القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت
الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي عليه السلام قولا قبيحا
في ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي عليه السلام
ولم يكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي
عليه السلام ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد
شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال الاخر الانبياء يتهمون فكيف
انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يري قتله لبشاعة ظاهر اللفظ

وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده
ان يكون خبرًا عن من اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة
ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة
بعض من شهد عليه توهين ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا
عبد الله بن عيسي ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم
قصد الى كلب فضربه برجله وقال قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال
ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله
وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده
ضربه بالسوط واطلقه **فصل** الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا
ولا يذكر عيبًا ولا سبًا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد
ببعض احواله عليه السلام الجايزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل
والحجة لنفسه او لغيره او على التشبيه به او عند هضيمة نالته او غضا صة
لحقته ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه
او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل
والتنذير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي عليه
السلام او ان كذبت فقد كذبت الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا

او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت
كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب وقد صبر ايوب او قد صبر
نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة
تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول
المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسي وافته بنت شعيب غير ان
ليس فيكما من فقير على ان آخر البيت شديد ودخل في باب الازرا
والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله
لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في
الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا
الفصل شديد لتشبيه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين
احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر الاستغناء عنها وهذه
اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي
جبريل وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر
الله قلب رضوان وكقول ابن حسان المصيصي من شعراء الاندلس في
محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون **فصل**
كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما
كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير

من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العتب وقلة
علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم وتحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه
تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما
الي حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الكلام
في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبًّا
ولا اضافت الي الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيت المعري
ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر
خطوة الكرامة حتي شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء
منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اعلاء في وصف لتحسين كلامه بمن
عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهي عن جهر القول له
ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة
تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضي قبح ما نطق به ومالوف عادته
لمثله او ندوره او قرينة كلامه او ندمه علي ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء وقد انكر الرشيد علي ابي نواس قوله فان يك
باقي سحر فرعون فيكم فان عصي موسي بكف خصيب وقال له يا ابن
اللخناء انت المستهزئ بعصي موسي فامر باخراجه عن عسكره من ليلته

وذكر

وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفره فيه او قارب قوله في محمد الامين
وتشبيهه اياه بالنبي عليه السلام تنازعا الاحمدان الشبه فاشتبها
خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا عليه ايضا قوله وكيف
لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول وموجب
تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا
ما بسطناه في طريق الفتيا علي هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك
بن انس رحمه الله تعالي واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه
في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعي النبي عليه السلام
فقال مالك قد عرض بذكر النبي عليه السلام في غير موضعه اري ان يؤدب
قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا
وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له
قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا
وقد كره سحنون ان يصلي علي النبي عليه السلام عند التعجب الا علي طريق الثواب
والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله تعالي وسئل القابسي عن رجل
قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان
فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد
اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه

فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهذا اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفى الادب بالسوط والسجن نكال السفهاء وامّا ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذى ذكره عند ما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسه فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا فى فعله ولزومه فى ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه فى فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغى له التعريض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسه واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس فى هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا فى شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امّى فقال الشاب اليس كان النبى عليه السلام اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه مخطئ واستشهاده بصفة النبى عليه السلام وكون النبى اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبى عليه السلام لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله فيترك لان قوله لا ينتهى الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة

استفتى

استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضى ابا محمد بن منصور رحمه الله فى رجل تنقصه آخر بشىء فقال له انما تريد نقصى بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبى عليه السلام فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله **فصل** الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر فى صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغى امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه فى كتاب او مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكى لذلك والمحكى عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه فى الحقوق وجب على سامعه الاشارة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتاكد فى هؤلاء الايجاب لحق

النبي عليه السلام ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذا السبيل فالقيام
بحق النبي عليه السلام واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذي
حيا وميتا مستحق على كل مومن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت
به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي في الاستحباب
في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال
المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن
الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالي ايسعه ان لا يودي شهادته
قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم
لا يري القتل بما شهد به ويري الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه
ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى
لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي عليه السلام والتمضمض
بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعي بمباح واما الاغراض
المتقدمة فتتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالي مقالات
المفترين عليه وعلي رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير
من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
العزيز وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي عليه السلام الصحيحة
على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدي على حكايات

مقالات

مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا
شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على
الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين
بالمخلوق على هذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا
من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف
واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان
ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه
اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد
او معرفة بمقدار ما حكاه او لم يكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة
حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك
ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان
لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال
مالكا عمن يقول القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما
حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله
تعالي على طريق الزجر والتغليط بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي
فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه
لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه او روايته

اشعارهجوه عليه السلام وسبّه فحكم هذا حكم الساب نفسه ويوخذ
بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله وتعجيله الى الهاوية امه
وقال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي عليه
السلام فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم
رواية ما هجي به النبي عليه السلام وكتابته وقرائته وتركه متى وجد
دون محو ورحم الله تعالى اسلافنا المتقين المحترزين لدينهم فقد
اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا
روايته الا اشيا ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول
ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم
بن سلام رحمه الله تعالى قد تحري فيما اضطر الى الاستشهاد به من
اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه
وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق
الى عرض سيد البشر عليه السلام **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما يجوز
على النبي عليه السلام او يختلف في جوازه عليه وما يطرا من الامور البشرية
ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله تعالى على
شدته من مقاسات اعدائه واذائهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته
وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشه كل ذلك على طريق

الرواية

الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة الانبياء وما يجوز
عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص
ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف ولا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد
اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده ويحققون فوايده ويجنب ذلك من عساه لا
يفقهه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة
يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص
عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره
لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا
الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة
لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد الغضاضة والتحقير بل كانت عادة
جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج الله تعالى لهم
الى كرامته وتدريبهم برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم
من الكرامة في الازل ومتقدم العلم ولذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته
على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف
حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده
ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله

تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا
ويمنى امره حتى نفرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك
كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف
بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن مالك اذ ذا
اشياع متقدمين يحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى
علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك
ثم قال ولو كان في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم
من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به فهو
مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القران
العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح عليه السلام
وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل
لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبرة ومعجزة
البشر وليس فيه ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعروفة
وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقصة

لانها

لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه
هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه
وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا
الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس
والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها
وتقلب احوالها كل هذا من فضائله وماثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد
شيئا منها موردة وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك
على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها
وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في
الاحاديث مما في ظاهرها اشكال يقتضي امورا لا يليق بهم بحال ويحتاج
الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى
منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فقد كره التحدث بمثل هذا
من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعوا الناس
الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن
من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه

علي ظنها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف
بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل
والنبي عليه السلام اوردها علي قوم عرب يفهمون كلام العرب
على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وايجازهم فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية ولا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها
وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم
من امن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شي في حق الله ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها
ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان
يذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعاد واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ
على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكل الكلام على احاديث ضعيفة
موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل
كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها
اكشف للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي

عليه السلام وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا
على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر
تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر
عليه علامات الادب عند ذكره عليه السلام فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد
ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء
للنبي عليه السلام لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب
العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن
اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز
عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه
من العبارة ويجتنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل
يجوز الا يعلم الا ما علم وهل يمكن الا يكون عنده علم من بعض الاشيا
حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغاير
فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من توقير
واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب

عبارته فيه ووجدت بعض الحايرين قد توله لاجل ترك تحفظه في العبارة
مالم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه
السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة يقبح الشي او يحسنه وتحريرها
وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان
لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة
وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه
ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر
عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره عليه السلام كما قدمناه في القسم
الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القران حكى الله
فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها
صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر
استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه السلام
وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله
او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك

واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه
ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل
وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول سواء كانت توبته على هذا
بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد
وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه
الله تعالى اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه حده
وقال ابو محمد بن ابي زيد في مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته
تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي عليه السلام من الموحدين ثم
تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا
جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا
انه خشي الظهور عليه فبادر بذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل
على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال
القاضي ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسألة ساب النبي عليه السلام اقوى
لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي عليه السلام
ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل

توبته وعند الشافعي تقبل توبته واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف
وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن
سحنون لم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم
ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد
كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر
محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور
القول باستتابته ان النبي عليه السلام بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة
الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا
وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد فيه المرتد لا حق فيه لغيره من
الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي عليه السلام تعلق فيه حق
الآدميين فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط
عنه حد القتل والقذف ايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه
من زنا وسرقة وغيرهما ولم يقتل ساب النبي عليه السلام لكفره لكن
لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال
القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر
ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان توبته واظهار انابته ارتفع عنه

اسم الكفر

اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران
القابسي من سب النبي عليه السلام ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب
لان السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على
رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به
من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان
ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل
فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به
واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق
النبي عليه السلام وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه
وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون
عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة
وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك
لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان
منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض
احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك

الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك
وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا لتكذيبه او تكفيره او نحوه فهذا مما
لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا
لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا
كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف
فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف
في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد
يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر رضي
الله عنه في الاستتابة ولم ينكره احد منهم وهو قول عثمان وعلي
وابن مسعود وبه قال ابن عطا ابن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك
واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وذهب
طاووس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون

عن معاذ

عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر وقالوا
تنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرء القتل عنه لقوله عليه السلام
فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء
وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطا
وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة
قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها
فمذهب الجمهور روي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد
اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه
مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال
الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي
اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب
والا قتل وقال ابو الحسن بن قصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك
هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب
الراي وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة
فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه
المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروي

عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي انه يستتاب ابدا
وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكي ابن القصار عن ابي حنيفة
انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة
مرة وفي كتاب محمد بن ابي القاسم يدعي المرتد الي الاسلام ثلاث مرات
فان ابي ضربت عنقه واختلف علي هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام
الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا
ولا تعطيشا ويوتي من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة
بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ
في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع
حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء
ويوقف مع ذلك ماله اذا خيف ان يتلفه علي المسلمين ويطعم منه ويسقي
وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي عليه السلام
نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب
ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل
في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون
استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى
يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب علي المرتد

في المرة الاولي ادبا اذا رجع وهو علي مذهب مالك والشافعي والكوفي
فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او
عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه
الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب علي القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط
عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه او ضعفها
وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه
والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق
في السجن والشد في القيود الي الغاية التي هي منتهي طاقته مما لا يمنعه
القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه
القتل لكن وقف عن قتله لمعني اوجبه وتربص به لاشكال او عائق
اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف
حاله وقد روي الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب
نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد
فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتي ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب
النبي عليه السلام فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع
والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا

ومن كان افضى أمره القتل نعاف عايق اشكل في القتل لم تمنع ان
يطلق من السجن ولكن يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما
عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل
امره يشد في القيود شداً او يضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه
وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح
وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما
ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم
عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون
الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم
عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع
اجتهاد والله ولي الارشاد **فصل** هذا حكم المسلم فاما الذمي
اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي
كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد
على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما
من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم
ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى

وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل عليه
ايضا بقتل النبي عليه السلام لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا
ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل
حرب يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام
عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان
ذلك حلالا عندهم وكذلك سبهم للنبي عليه السلام يقتلون به ووردت
لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابن المصعب
الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل
يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه
ثم تاب لانا نعلم باطنة الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان
ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استامنا الى باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام

باقية عليه لم يسقطها شي وقيل لا يسقط اسلام الذمي قتله لانه
حق للنبي عليه السلام وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والمعرة فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب
عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل او قذف واذا كنا
لا نقبل توبة المسلم فلا نقبل توبة الكافر اولى قال ابن مالك في كتاب ابن
حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ
فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا
ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال
سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله عليه
السلام او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي
لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روي ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا
تناول النبي عليه السلام فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروي عيسى عن
ابن القاسم في ذمي قال ان محمد لم يرسل الينا وانما ارسل اليكم وانما
نبينا موسى او عيسى او نحو هذا لا شي عليهم لان الله اقرهم على مثله
واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران
وانما هو شي يقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني

دينا

ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع
المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال
واما ان شتم النبي الهم عليه السلام شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم
قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ويحمل قوله
عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سوء الاتت سليمان بن سالم
في اليهود يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع
السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم
قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي عليه السلام ومن
دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا
واخذ اموالنا فاذا قتل واحد منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله
فكذلك اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية
على اقرارهم على سبه له لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض
عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف

عقوبتهم فيه بمثابة كفره فاقتله ويدل على انه خلاف ما روي عن
المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري قال اوتيت بنصراني
قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته
اوعاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على المزبلة فاكلته
الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال خلق عيسى محمدا فقال
يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه
قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت
الكلاب تاكل ساقيه ولو قتلوه استراح منه الناس قال مالك ارى ان
تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي عليه السلام من اليهود
والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار حيا وان شاء قتله ثم
حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد
كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني
مالك فكتبت بان يقتل وتضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته
بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل
وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا

الاندلسيين

الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله
وتكذيب محمد عليه السلام في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها
وقال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو
القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر
قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين في
درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه
باسلامه حدود الله تعالى فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك
لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي عليه السلام ثم اسلم
حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هو حد القذف في حق النبي عليه
السلام وهو القتل لزيادة حرمة النبي عليه السلام على غيره ام هل
يسقط القتل باسلامه ويجلد ثمانين فتامله **فصل** في ميراث
من قتل بسب النبي عليه السلام وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء
في ميراث من قتل بسب النبي عليه السلام الى انه لجماعة المسلمين
من قبل ان شتم النبي عليه السلام كفر يشبه الزندقة وقال اصبغ ميراثه
لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له
مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن

القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما
اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث
في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في
ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه
وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل
ولا يصلي عليه ولا يكفن ويستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار
وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه
لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في
كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في
العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره
مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقال
اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف
في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي
فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات
ولم يعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلي عليه وروى اصبغ عن ابن
القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله عليه السلام واعلن دينا

مما يفارق

مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث
المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى
واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز
والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما اكتسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين
وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف
قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة
ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف
بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من
اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او بتوبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله عليه السلام وروى ابن نافع عنه في
العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه
وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك
ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه اعترف بما شهد
عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث
قال وكذلك كل من استسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام

وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني سبب النبي عليه السلام فيقتل
هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة
الميراث لانه لاتوارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى قوله واختصاره **الباب الثالث** في حكم من سب الله
تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي عليه السلام وازواجه
وصحبه لاخلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم
واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن
سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن
يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون
افتراه على انه بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم
يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال
المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى
يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم
يتوبوا قتلوا ولابد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه
القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه
في رجل لعن رجلا ولعن الله تعالى فقال انما اردت ان العن الشيطان
فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه

وبين الله

وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هارون
بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان
قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت
في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم
بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير الله تعالى وتظلم
منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم
بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه
الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال
كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة
انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر
بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة
للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام
قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل
في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى
آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه قد خلع ربقة الاسلام
من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب
على مشهور اكثر مذاهب العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه

قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** واما من اضاف الي الله ما لا
يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق
التاويل والاجتهاد والخطاء المفضي الي الهوي والبدعة من تشبيه او نعت
بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير
قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا
في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما
اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم
وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم
وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه
فسر قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده
وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى
عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن
خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله تعالي يستتابون
اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال
مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم
ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية

والقدرية

والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم
السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله
لم يكلم موسي تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يري تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية
والمرجية وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام
انه كافر واختلف الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين
ابي مسهر ومروان ابن محمد الظاهري الكفر عليهم وقد شوور في زواج
القدري فقال لا يزوجه قال الله تعالي ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا
من ذات الله تعالي واشار الي شي من جسده بيد او سمع او بصر قطع
ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر
فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى
يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا يقبل توبته
قال القاضي ابي عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف
يقتل المستنصر الداعية وعلي هذا الاختلاف اختلف قوله في اعادة
الصلاة خلفهم وحكي ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري
واكثر اقوال السلف بكفرهم وممن قاله به الليث وابن عيينة وابن لهيعة

روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي
ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم
في آخرين وهو قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج
والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول
احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن
روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر
والحسن البصري وهو راي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام
الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد
في الارض كما قال في المحارب ان راي الامام قتله وان لم يقتل قتله
وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل
ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه
على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة
فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف
في اكفار اهل البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه

الى الكفر

الي كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال
به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين
وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم
من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة علي
من صلي خلفهم في وقت ولا غيره وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة
وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام
واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير وضده واختلاف
قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والي نحو من
هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من
المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه
واضطرب قوله في المسئلة علي نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس
حتى قال في بعض كلامه انهم على راى من كفرهم بالتاويل لا تحل
مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم
على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا يورث ميتهم ورثتهم من
المسلمين ولا يورثهم هم من المسلمين واكثر ميله الي ترك التكفير
بالمال وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر

قوله التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى
وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في
الطريق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله
تعالى في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر
له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة واخراج مسلم
عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز
من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين
خطر والخطاء في ترك الف كافر اهون من الخطاء في سفك محجمة
من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام واذا قالوها يعني الشهادة
فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل
فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ولا يستباح خلافها الا بقاطع
ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب
معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم
في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم ولذلك
في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث على غير
الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد

مثله

مثله في الزنا وعقوق الوالدين وزور وغير معصية واذا كان محتملا
للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من
شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى
لمن قتلهم او قتلوه قال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا
الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له
الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله
من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم هنا حد لا كفر وذكر
عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم
بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله
فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن القران لا يجاوز
حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم
على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام
بشيء اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه
بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم
بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكيك في حاله وان احتجوا
بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله عليه السلام

يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرى ابي سعيد
الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون بان العبارة بفي لا يقتضي
تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم
من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا
الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة
فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن اما
سعيد رضي الله عنه اجاد بماشاء من التنبيه الذي نبه عليه وهذا
مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ
وتحريهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها
قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك
وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا
له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال
له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه
وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق
الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله
بن الحسين العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين

فيما كان

فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان
الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما
الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله
عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم
الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم
وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء
والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم
يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا
المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم
يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين الاسلام او وقف
على تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على
كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه
والتكذيب والشك لا يقع الا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات
كفر وما يتوقف فيه او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا
الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل
البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة
احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنية

من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى في المجوس
والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس
او النجوم او النار او لحدٍ غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب
الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك
من اعترف بالالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي
او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولداً او صاحبة
او والداً او انه متولد من شيء او كاين عنه او ان معه في الازل شيئاً
قديماً غيره او ان ثمّ صانعاً للعالم سواه او مدبراً غيره فذلك كله
كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته
او حلوله في بعض الاشخاص كقول بعض المتصوفة والنصارى والباطنية
والقرامطة وكذلك يقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك
في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح
وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب
زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد
النبوة من اصلها عموماً او نبوة نبينا خصوصاً او احداً من الانبياء

الذين

الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم
اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين
ان علياً كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والاسماعيلية والعنبرية
من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشتركوا في كفر آخر مع من قبلهم
وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام
ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به وادعى في ذلك المصلحة بزعمه
او لم يدعها فهو كافر بالاجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض
وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع
واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم
خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم
التصريح لقصور افهامهم فتضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل
الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه
او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرا عليهم
او اذاهم او قتل نبياً او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك يكفر من ذهب
مذهب بعض القدماء في ان في كل من الحيوان نبياً ونذيراً من القردة

والخنازير والدود والدواب وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى وان من
امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه
مع من اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف
من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا محمد عليه السلام ولكن قال
كان اسود او مات قبل ان يلتحي اوليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس
بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود
القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر
الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي عليه
السلام وبعده وكذلك وكل عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة
وكالبزيغية والبنانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبنان واشباه
هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب
الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه
يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة
وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون
للنبي عليه السلام لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي

بعده

بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت
الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان المفهوم المراد به دون تاويل
ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا
وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديثا
مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال
الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم
او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد
ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك
وكذلك يقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير
جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي
عليه السلام اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه
في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا
والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا
من وجه اخر بسبهم النبي عليه السلام على مقتضى قولهم وزعمهم انه
عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى
الله على رسوله وعلى اله وكذلك يكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه

لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك
الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى
الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد
اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة
على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير
كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه
كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع
بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا
بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر
وجوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله
علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا ولا على هذه الصفات
والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص جلي والخبر به عن الرسول
خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلوة
طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال
امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم
وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم
افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شي لهم ورفع عهد الشرايع عنهم

وكذلك

وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج
واجب في القران واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة
المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي
تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه
التفاسير وغلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن
به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث
عهد باسلام فيقال له سبيلك ان تسال عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة
المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول عليه
السلام ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي
هو فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول عليه السلام والمسلمون
وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفة عبادة الحج والمراد
به وهي التي فعلها الرسول عليه السلام والمسلمون وان صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي عليه السلام وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان
حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعده والمرتاب في
ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله
لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا
يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه

من ذلك واجمعوا انه قول الرسول عليه السلام وفعله وتفسير مراد الله
تعالي به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اوهم الناقلون لها وللقران
وانحلت عري الدين كرّة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران
اوحرفا منه اوغيّر شيئا منه اوزاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية
اوزعم انه ليس بحجة للنبي عليه السلام اوليس فيه حجة ولا معجزة
كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل علي الله ولا حجة فيه لرسوله
ولا يدل علي ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة مخالفة في كفرهما بذلك
القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي عليه
السلام حجة له اوفي خلق السموات والارض دليل علي الله لمخالفتهم
الاجماع والنقل المتواتر عن النبي عليه السلام باحتجاجه بهذا كله
وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران بعد
علمه انه من القران الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه
لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به اولتجويز الوهم علي ناقله فنكفره
بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي عليه السلام
لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة اوالنار اوالبعث اوالحساب
والقيمة فهو كافر باجماع للنص واجماع الامة علي صحة نقله

متواترا

متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار
والحشر والنشر والثواب والعقاب معني غير ظاهر وانها لذات روحانية
ومعان باطنة كقول النصاري والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة
وزعم ان معني القيمة الموت اوفنا محض وانتقاض هيئة الافلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك بتكفير غلاة الرافضة في
قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من
الاخبار والسير والبلاد التي لا يرجع الي ابطال شريعة ولا تفضي الي انكار
قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك اومؤتة اووجود ابي بكر وعمر
اوقتل عثمان وخلافة مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد
شريعة فلا سبيل الي تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس
في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة
علي من خالفه فاما ان ضعّف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهّم
المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الي ابطال الشريعة فاما من انكر
الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف
الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم
قوله تعالي ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي الاية

وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون
الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله
العلماء، وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع
الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا
مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي
ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله
هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل
بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه
لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او
فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحدى ثلاثة امور
احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله
ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم
والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك
القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم
يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما
من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا

في ذلك

في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه
تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس
لله كلام فهو كافر ولا نكفر المتاولين كما قدمناه فاما من جهل صفة
من هذه الصفات فاختلف هاهنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن
ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة
الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه
لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر
من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي
عليه السلام انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر
الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو
بوحث اكثر الناس عن الصفات ولو كشفوا عنها لما وجد من يعلمها
الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر
بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون
الشك به حينئذ كفرا فاما ما لم يرد فيه شرع فهو من مجوزات العقول
او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها

وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابطا للفظه مما استولي عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمي تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله لعله يتذكر او يخشي وقوله وانا او اياكم لعلي هدي او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفي الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات علي مذهب المعتزلة فمن قال بالمال الي ما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفي العلم انتفي وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادي اليه قولهم وهكذا هذا عند سائر فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمال قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا علي هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمال الذي الزموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤل اليه علي ما اصلناه فعلي هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران

وقف لله

واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتي يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا علي زمان الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدرية وراي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم واذبوهم بالضرب والنفي والقتل علي قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كباير عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راي غير ذلك والله تعالي الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله تعالي ولا اجمع المسلمون علي اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في هذا الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغني عن اعادته بحول الله تعالي فصل هذا حكم المسلم الثابت لله تعالي واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالي عنهما في ذمي تناول من حرمة الله تعالي غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه

فخرج ابن عمر عليه بالسيف نطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوطة وابن القاسم فى المبسوطة وكتاب محمد وابن سحنون
من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل
ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال فى المبسوطة طوعا
وقال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من
دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم فى المبسوط وكتاب
محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر
فى كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب
والا قتل وقال المطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال محمد بن ابي زيد
من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا
قول ابن الجلاب قبل وقد ذكرنا قول عبد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلس
فى النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به بالله والنبي
واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي عليه السلام منهم
بالوجه الذي كفر به ولا فرق فى ذلك بين من سب الله به وسب نبيه
لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من ذلك ولا يسمعونا شيئا

مع ذلك

من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء
فى الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل
لانه خرج من كفره الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه
دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب ولا اعلم
من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق
بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء
الالهية او الرسالة او النافى ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي
رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك فى سكره او غمرة جنونه فلا خلاف
فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل
توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم
من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله
عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا ظاهر من تكرير ذلك منه
وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته
وصار كالزنديق الذي لا تامن باطنه ولا يقبل رجوعه وحكم السكران
فى ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه مما علم انه قاله من ذلك فى
حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك فى
حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر

ليزجر عنه كما يؤدب على قبايح الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف
عنه كما يؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي
طالب رضي الله تعالي عنه من ادعي له الالهية وقد قتل عبد الملك
بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء
والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف
فى ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية
والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا
توبته وكذلك حكموا فى ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج
بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسن بن ابي عمر
المالكي وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبا قتل وقال ابو حنيفة
واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد
وقال ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب ومحمد فى العتبية فيمن تنبا
يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقال
اشهب فى يهودي تنبا وادعي انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك
استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد ابن ابي زيد فيمن لعن
بارئه وادعي ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره

ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن
القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الي مثل
ذلك طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من
تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه
بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلاله مولاه او يمثل فى بعض الاشياء
ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق
الا فى حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان
تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه
وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما
اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتي ابن حبيب واصبغ
بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما
فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو
زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلي بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا
فى سفك دمه واشاروا الي انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله
القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى عنقي ايشتم ربا عبدناه
ثم لا ينتصر له انا اذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكا ورفع المجلس
الي الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب

من خطاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن
حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي
لتهمته بالمداهنة في هذه القضية ووبّخ بقية الفقهاء وسبّهم واما من
صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا
وازرا فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنوعة معناها وصورة
حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله
تعالى عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك فقال ان
كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شي عليه قال القاضي ابو الفضل
وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب
ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف
كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه
الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا
انا قصدنا نقض مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا
مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط
اللسان فقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لك قد كنت تسقينا
فما بدا لك انزل علينا الغيث لا ابا لك قال في اشباه لهذا من كلام
الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل

ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى
مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله تعالى منزه
عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم
احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شي حتى يقول لا اخزى الله الكلب وفعل
به كذا وكذا قال وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله
تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل
ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة
وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة
خوضهم في الله تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول
هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله
في باب ساب النبي عليه السلام على الوجوه التي فصلناها والله الموفق
فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم
او كذبهم فيما اتوا به وانكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق
ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله الآية وقال تعالى وقولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابرهيم الآية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال تعالى
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله

قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم
او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان
يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد
تقدم الخلاف في هذا الفصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان
في بعض اجوبته من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم
ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان
جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب
والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا
بذلك لقولهم ان النبي عليه السلام كان اشبه بعلي من الغراب بالغراب
وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او
تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في
الذي قال لآخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك
قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة
الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين
ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر

المتفق

المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبرائيل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة
وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة ومن
سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكرا
ونكيرا من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار
بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او من الانبياء كهاروت
وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي
المجوس والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم
فيمن قدمناه اذ لم يثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم
واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته
وفضله وان منهم صح لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة
فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك
وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب
اذ ليس له الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس
تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم ان من استخف
بالقران او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او آية
او كذب به او بشيء منه او بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت

مانفاه او نفي ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شي من ذلك فهو كافر
عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد رحمه الله تعالى ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد
المومن ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد
بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه
السلام قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن
ابن عباس عن النبي عليه السلام من جحد آية من كتاب الله من المسلمين
فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية او الانجيل وكتب الله
المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع
المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف
بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين
الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد
عليه السلام وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا
لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه
المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا
لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها

بالفرية

بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران اي لانه كذب بما فيه
وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله
عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب
بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم
موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا
لانهما اجتمعا على انه كذب النبي عليه السلام وقال ابو عثمان ابن الحداد
جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل كفر
وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ان هذا ليس كما قرات
ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ابرهيم ذلك فقال اراه سمع انه من كفر
بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية
من القران فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران
فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله
وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية فقال الآخر
لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله
عن القضية فقال انما لعنت تورية اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله

لايري اليهود متمسكين بشي من عند الله لتبديلهم وتحريفهم
ولو اتفق الشاهدات على لعن التورية مجردًا الضاق التاويل وقد اتفق
فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقري احد ائمة المقربين
المتصدرين بجامع ابن مجاهد لقراته واقرانه بشواذ من الحروف
مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلًا
اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث
وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابوبكر الابهري وغيره
وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك
وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما
من لعن المصحف فانه يقتل فصل ومن سب آل بيته وازواجه
واصحابه عليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسن الصيرفي وابو الفضل العدل
قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا
محمد بن يحيي ثنا يعقوب بن ابرهيم ثنا عبيدة ابن ابي رابطة
عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله مغفل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم

ومن اذاهم

ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذي الله تعالى يوشك ان ياخذه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي ومن سبهم
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفًا
ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر
الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تجالسوهم
ولا تناكحوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب
اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي عليه السلام ان سبهم واذاهم
يوذيه واذي النبي حرام فقال لا توذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد
اذاني وقال لا توذوني في عائشة وقال في فاطمة بضعة مني
يوذوني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله تعالى من شتم
النبي عليه السلام قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم
احدًا من اصحاب النبي عليه السلام ابابكر او عمر او عثمان او معاوية
او عمرو بن العاصي فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم
بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة الي بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبًا شديدا ومن زاد
الي بغض ابابكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه

حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي عليه السلام وقال سحنون
من كفر احدًا من اصحاب النبي عليه السلام عليا او عثمان او غيرهما
يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر
وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من
الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب
ابا بكر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف
القران وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي
ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما
نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الله
ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة
فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح
نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا
يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله اعلم
ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه
وقرن سب نبيه بسبه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه القتل
كان موذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة بالكوفة

فقدم الى موسى ابن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى
انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه للحجامين وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه نذر قطع لسان ابنه عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد
بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احدا
بعد اصحاب رسول الله عليه السلام وروى ابو ذر الهروي ان عمر
بن الخطاب رضي الله عنه اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان
له صحبة لكفيناكموه وقال مالك من انتقص احدًا من اصحاب النبي عليه
السلام فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء ثلاثة اصناف
فقال للفقراء المهاجرين الآية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم الآية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فمن تنقصهم
فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد
منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدًا
له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره
ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه وقال ومن قذف
ام احد منهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد
من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين

كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة
هولاء بينهم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال
ومن سب غير عائشة من ازواج النبي عليه السلام ففيها قولان
احدهما يقتل لانه سب النبي عليه السلام بسب حليلته والاخر
انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو
مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي عليه السلام يضرب ضربا
وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق
النبي عليه السلام وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر
تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا
بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر
هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن
الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقيه
فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا يقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة
ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد
على ابو بكر الصديق انه ان كان في مثل ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد
فلا شي عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت
وذكر وهما رواية قال القاضي ابو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه

وانجز

وانجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما ارجوا
ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد
سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من
التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما
فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقيدا يفيدنيه
عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما ارويه والى الله تعالى جزيل
الضراعة في المنة بقبول ما فيه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين
وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من
شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله
واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا
عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد
المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتسابه واكتتابه سببا
يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا
وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل
شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة
لدرك حقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء

٢٨٧ ورقة
٢٨٨

لايسمع وعلم لاينفع وعمل لايرفع فهو الجواد الذي لايخيب من امله
ولاينتصر من خذله ولايرد دعوة القاصدين ولايصلح عمل المفسدين
وحسبنا الله ونعم الوكيل

قد وقع الفراغ عن تنميق الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
المشهور بقاضي عياض عن يد اضعف الطلاب واحقر الكتاب الحافظ
السيد عثمان بن سليمان بن عثمان غفر الله له ولوالديهما لسنة
خمسة وسبعين بعد المائة والالف من هجرة من له العز والشرف
في اواخر ذي القعدة حامدا لله ومصليا على نبيه وآله وصحبه اجمعين